إقرأ

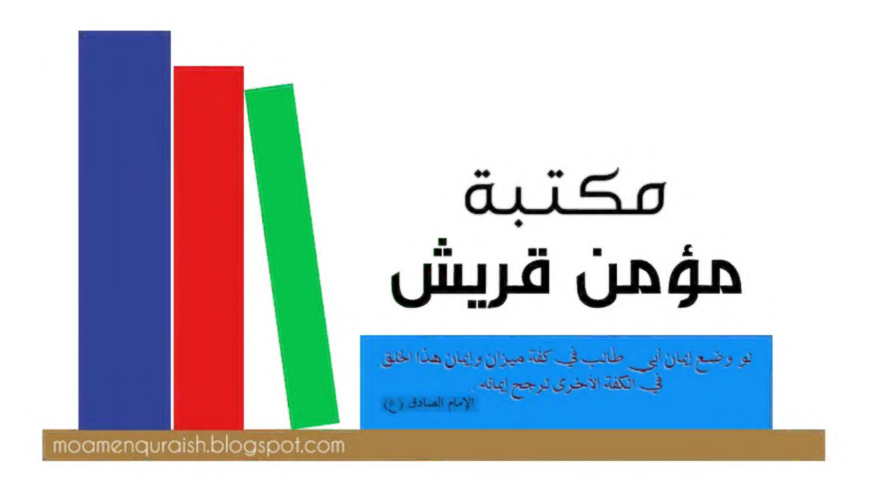
أجمل القصص الواقعية التي تبكي العيون

كيف نعالج ضعف الإيمان



السيد حسين نجيب محمد

دار المحجة البيضاء



كيف نعالج ضعف الإيمان


بسم الله الرحمن الرحيم

في هذا الكتاب أجمل القصص الواقعية التي تُبكِي العيون

كيف نعالج ضعف الإيمان

لماذا يضعف الإلتزام الديني؟ وكيف نعالجه؟

حلاوة الإيمان

الجفاف الروحي

قصص واقعية في حسن الخاتمة وسوء العاقبة

السيد حسين نجيب محمد

دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى
١٤٣١هـ / ٢٠١٠م



الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

المقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين

إطلالة على الواقع

من الملاحظ في حياة بعض الملتزمين بأحكام الدين أنهم عندما يبدأون الإلتزام الديني فإنهم يكونوا على درجة عالية من الحماس الروحي والتقيّد بالأمور الشرعية، فتراهم يواظبون على حضور المساجد، وصلاة الجماعة، واستماع المحاضرات، وارتياد مجالس العلماء، وقد تجد البعض يحمل همّ الدعوة إلى الله تعالى إلى درجة أنه يريد أن يغيّر العالم نحو الإيمان والإلتزام.

ولكن، وبعد فترة من الزمن نجد أن هذا الحماس تحوّل إلى فتور، فتصير صلاتهم أمراً شاقاً، ويقلّ حضورهم المسجد والقيام بالمستحبات الشرعية، وقد يصل بهم الأمر إلى إلفة المحرمات - والعياذ بالله - وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهذا ما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ بقوله: «ألآ إن لكل عبادة شره - أي رغبة ونشاط - ثم تصير إلى فترة، فمن صارت شرّه عبادته إلى سُنّتي فقد اهتدى، ومن خالف سُنّتي فقد ضلّ وكان عمله في تباب»[١].

ونظراً لخطورة هذا الأمر وما ينتج عنه من خطر السقوط والإنحراف والعديلة عند الموت، كان من الضروري أن نسلط الضوء على أسبابه وكيفية علاجه، مستمّدين ذلك من النصوص الشريفة، سائلين الله تعالى أن يثبتنا على ديننا، إنه أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله المعصومين.

(١) الكافي ج٣ ص٨٥.

الفصل الأول

الإيمان بين الزيادة والنقصان

زيادة الإيمان

جاء في النصوص الدينية أن إيمان الإنسان معرّض للزيادة والنقصان، ويدل على ذلك قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

وعن عبد العزيز القراطيسيّ قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا عبد العزيز إنّ الإيمان عشر درجات بمنزلة السُلّم، يصعد منه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقولنَّ صاحب الإثنين لصاحب الواحد: لست على شيء حتّى ينتهي إلى العاشرة، فلا تسقط من هو دونك، فيسقطك هو من فوقك، وإذا رأيت من هو أسفل منزلة منك بدرجة فارفعه إليك برفق،

ولا تحملنَّ عليه ما لا يطيق فتكسره، فإن من كسر مؤمناً فعليه جبره»[١].

وعن عبد العزيز قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام: فذكرت له شيئاً من أمر الشيعة ومن أقاويلهم فقال: «يا عبد العزيز الإيمان عشر درجات بمنزلة السلم: له عشر مراقي، وترتقي منه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقولنَّ صاحب الواحدة لصاحب الثانية: لست على شيء، ولا يقولنَّ صاحب الثانية لصاحب الثالثة: لست على شيء - حتى انتهى إلى العاشرة - ثمّ قال: وكان سلمان في العاشرة وأبوذرّ في التاسعة والمقداد في الثامنة، يا عبد العزيز لا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك، وإذا رأيت الّذي هو دونك فقدرت أن ترفعه إلى درجتك رفعاً رفيقاً فافعل، ولا تحملنَّ عليه ما لا يطيقه فتكسره، فإنّه من كسر مؤمناً فعليه جبره، لأنك إذا ذهبت تحمل الفصيل حمل البازل فسخته»[٢].

وعن القاسم الصيقل رفع الحديث إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: كنّا جلوساً عنده، فتذاكرنا رجلاً من أصحابنا، فقال بعضنا: ذلك ضعيف، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إن كان لا يُقبل ممّن دونكم حتّى يكون مثلكم لم يُقبل منكم حتّى تكونوا مثلنا»[٣].

المؤمن يزداد إيماناً كل يوم

إن المؤمن يسعى لكي يزداد إيمانه في كل يوم، فهو لا يكتفي بما وصل إليه. ولا يضعف، بل يزداد في كل يوم.

---

(١) الكافي ج٢: ٢٢و ٢٥.
(٢) الخصال ج٢: ٤٠.
(٣) بحار الأنوار ج ٦٩، ص ١٧٤.

فعن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «لا خير في العيش إلا لرجلين: رجلٌ يزداد في كل يوم خيراً، ورجلٌ يتدارك سيئته بالتوبة»[(١)].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه خيرهما فهو مغبوط، ومن كان آخر يوميه شرّهما فهو ملعون، ومن لم ير الزيادة في نفسه فهو إلى النقصان، ومن كان إلى النقصان فالموت خير له من الحياة»[(٢)].

وازدياد الإيمان يقتضي المراقبة والمحاسبة. فعن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام: «ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فإن عمل حسناً استزاد الله، وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه»[(٣)].

حلاوة الإيمان

من علامات ازدياد الإيمان الشعور بحلاوة العبادة والصلاة والذكر، وهذ دليل على سلامة القلب والذوق، فالمريض لا يشعر بطعم الطعام مهما كان طيباً وشهياً. وكذلك المصلّي لا يشعر بطعم الإيمان إذا كان قلبه وذوقه مريضان.

فالمؤمن هو الذي يزداد شعوره بطعم الأمور العبادية كلما تقدم به العمر، لا العكس.

وأما إذا فقد طعم العبادات فهذا دليل على نقص الإيمان بسبب

---

(١) كيف تحاسب نفسك ص٣٣.
(٢) الوسائل ج١١ ص٢٧٦.
(٣) كيف تحاسب نفسك ص٢٩.

المعاصي والذنوب، فعن رسول الله ﷺ: «من كان أكثر همّه نيل الشهوات نزع من قلبه حلاوة الإيمان»[1].

---

(١) ميزان الحكمة مادة «الإيمان».

الفصل الثاني

الإيمان مستقر ومستودع

الإيمان مستقر ومستودع

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨].

وفي تفسير هذه الآية أن الإيمان على نحوين:

الأول: ما يكون مستقراً في القلوب لا يتغير ولا يتزعزع، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

والثاني: ما يكون عرضة للتغيير والتبديل والزوال.

ومما يدل على هذا التفسير النصوص التالية:

عن الامام الرضا عليه السلام انه قال: إنَّ جعفراً عليه السلام كان يقول: «فمستقرٌ ومستودع» فالمستقرُّ ما ثبت من الإيمان، والمستودع المعار، وقد هداكم الله لأمر جهله الناس، فاحمدوا الله على ما منّ عليكم به[1].

وعن إسحاق بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنَّ الله جبل النبيّين على نبوّتهم فلا يرتدُّون أبداً، وجبل الأوصياء على وصاياهم فلا

(١) قرب الإسناد ط النجف ص٢٠٣ .

يرتدُّون أبداً، وجبل بعض المؤمنين على الإيمان فلا يرتدُّون أبداً، ومنهم من يعير الإيمان عارية فإذا هو دعا وألحَّ في الدعاء مات على الإيمان»[(١)].

عن عيسى شلقان قال: كنت قاعداً فمرَّ أبو الحسن موسى عليه السلام ومعه بَهمَةٌ، قال: فقلت: يا غلام ما ترى ما يصنع أبوك؟ يأمرنا بالشيء ثمَّ ينهانا عنه: أمرنا أن نتولّى أبا الخطّاب، ثمَّ أمرنا أن نلعنه ونتبرَّأ منه؟ فقال أبو الحسن عليه السلام وهو غلام: إنَّ الله خلق خلقاً للإيمان لا زوال له، وخلق خلقاً للكفر لا زوال له، وخلق خلقاً بين ذلك أعارهم الإيمان، يسمّون المعارين، إذا شاء سلبهم، وكان أبو الخطّاب ممّن أعير الإيمان، قال: فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام فأخبرته بما قلت لأبي الحسن عليه السلام وما قال لي، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنّه نبعة نبوّة[(٢)].

فمن خلال هذه النصوص يستنتج أن المؤمن قد يتعرض لزوال الايمان في بعض المواقف وخصوصاً عندما يضعف شيئاً فشيئاً، أو عند نزول المصائب، وعند الوفاة.

العديلة عند الموت

إن الإيمان قد يُسلب من الإنسان عند احتضاره وهو ما يُسمّى «العديلة عند الموت» وبالتالي يموت كافراً بعد أن أمضى عمره في الإيمان، وهذا هو سوء العاقبة - والعياذ بالله -

---

(١) الكافي ج٢ ص٢١٩.
(٢) الكافي ج٢: ٢١٨.

ومن هنا ورد في القرآن الكريم آيات الدعاء بالبقاء على الإسلام قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

وسنتحدث عن هذا الموضوع مفصلاً في الفصل السادس إنشاء الله تعالى.

الفصل الثالث

المؤمن
بين الإستقامة والإنحراف

الاستقامة

إن المؤمن يدعو ربه في كل يوم بالإستقامة على الدين وبقوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

كما يدعو ربه بقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

فلا يكفي معرفة الصراط المستقيم بل المطلوب إستمرارية السير عليه والإستقامة فيه، والإستقامة هي «الإعتدال والإستواء والثبات في جميع الأمور العقائدية والفكرية والقولية والعملية».

ولأهمية الإستقامة والثبات فقد أنزل الله تعالى آيات تدعوا إلى الإستقامة فقال تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ﴾ [الشورى: ١٥].

وفي الخبر أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «شمّروا شمّروا، فما رُؤي ضاحكاً»[1].

وقال تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [هود: ١١٢].

---

(١) ميزان الحكمة مادة «الإستقامة».

وكان ﷺ يقول: «شيبتني هود والواقعة»[١].

وذلك لما ورد في الآية المباركة بالأمر بالاستقامة.

ويقابل الإستقامة «الإنحراف والسقوط والضلال». وهي حالة وقع فيها الكثير من العلماء والفضلاء، ومثال ذلك بلعم بن باعوراء وبرصيصا العابد.

فقد كان برصيصاً من الزهاد، وكان يؤتى بالمجانين والمرضى فيدعو لهم ويعوّذهم فيطيبون على يديه بإذن الله تعالى.

وذات مرة جيء له بامرأة جميلة ذات شرف قد أصابها الجنون وتركها إخوتها في صومعته ليشفيها الله ببركة أنفاسه ودعائه. . .

وفي لحظة سيئة وإذا بذلك العابد الزاهد يمارس الجريمة مع تلك المريضة المجنونة!!

وانتبه على نفسه بعد الجريمة فلعل المرأة قد حملت منه!!

يا للفضيحة والعار. . .

وهنا قرر أن يقتلها ويدفنها في الصحراء ليتخلص من الفضيحة!!

ولكنها فضيحة مكشوفة وجريمة ثابتة لا يمكن التنصل منها فقد اضطر للإعتراف بذلك أمام السلطة وحكم عليه بالإعدام مصلوباً بعد إدانته بجريمتين: الزنى والقتل.

فأتى إليه الشيطان وهو مصلوب على الخشبة ينتظر لحظة الموت

---

(١) الأمثل ج٧ ص٧٦.

ليستريح من حياة الخزي والعار فوسوس إليه الشيطان قائلاً: أنا الذي ألقيتك في هذا فاسجد لي سجدة واحدة حتى أخلصك...

قال العابد «المجرم الشقي» مستجيباً لطلب الشيطان: كيف أسجد لك وأنا على هذه الحالة؟

فأجابه: أكتفي منك بالإيماء.

فأومأ بالسجود للشيطان... وبعدها مباشرة لفظ آخر نفس من أنفاس حياته...[١].

علامات ضعف الإيمان

قد يتوهم بعض الناس أنهم بدخولهم عالم التدين قد وصلوا إلى مرتبة الكمال ورضى الله تعالى، ومن ثم لا يلتفون إلى ما هم فيه من ضعف في إيمانهم، ولذلك كان من الضروري أن نذكر علامات ضعف الإيمان كي تُجعل ميزاناً لإيمان الإنسان، ومن تلك العلامات:

١ - الإستخفاف بالمعاصي.

٢ - إلفة المحرمات.

٣ - عدم التأثر بفعل الحرام.

٤ - ترك السنن النبوية والمستحبات.

٥ - القول بلا عمل.

٦ - قساوة القلب وجمود العين.

(١) سفينة البحار ج١ ص٧١.

الفصل الرابع

أسباب ضعف الإيمان

الايمان والقلب

قبل الدخول في أسباب ضعف الإيمان لا بد من الإشارة إلى أن مركز الإيمان هو «القلب»، وبالتالي فإن أي خلل في القلب يؤدي إلى ضعف الإيمان، ومن نافلة القول إن مقصودنا بالقلب هو مركز الأفكار والروحانيات، وليس هو القلب الصنوبري الذي يضخّ بالدم.

وقد عبّر القرآن الكريم عن الحالة التي تصيب القلب بذلك «الرين».

قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

وجاء في بعض الأحاديث:

عن الرسول الأكرم ﷺ: «إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء، قيل: وما جلاؤها؟ قال: كثرة ذكر الموت، وتلاوة القرآن»(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «يصدأ القلب فإذا ذكّرته بآلاء الله انجلى عنه»(٢).

ومن أسباب رين القلوب التي تسبّب ضعف الإيمان:

---

(١) الجفاف الروحي ص ١٤.

(٢) المصدر نفسه.

١ - الذنوب

فحينما تصدر من أحدنا معصية «غيبة، كذبة، نظرة محرمة. . إلخ»، فإنها تحدث تفاعلات داخلية تؤدي إلى اختناق الروح وجفاف الروح، هذه التفاعلات قد لا نشعر بها إلا أنها تؤثر في النهاية على الروح، وتؤثر على القلب: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

لو أنَّ أحدكم ألقى حصاة صغيرة في ماء راكد، ماذا يحدث؟ سوف تتشكل دوائر صغيرة في الماء، وتتسع هذه الدوائر إلى أن تغيب عن الرؤية.

المعصية كذلك حينما تقع في القلب، فإنها تصنع دائرة صغيرة، ثم تتسع الدائرة إلى أن تصبح دوائر كبيرة فيختنق القلب، ويسوّد القلب، إلى أن يصل إلى المرحلة التي يعبّر عنها في القرآن بـ«الرين».

جاء في بعض الأحاديث: إن في القلب نكتة بيضاء، فإذا أذنب الإنسان ظهرت نكتة سوداء في تلك النكتة البيضاء، فإن تاب الإنسان انمحت تلك النكتة السوداء، وبقي القلب على صفائه ونقائه وبياضه، وإن تمادى في المعصية اتسعت النكتة السوداء، ثم تأخذ في الإتساع إلى أن تغطي القلب، فيصبح القلب مظلماً، قاسياً، جامداً، وهذا هو «الرين».

وإذا أصيب القلب بالرين، والجمود، والقسوة، والإنعتام، لم يعد يبصر الهدى، ولم يعد يبصر النور، ومات في داخله نبض الخير والصلاح والتقوى.

ومن تلك الذنوب التي تضعف الإيمان:

أ - الزنا

عن الأمام الصادق عليه السلام: «إذا زنى الرجل أخرج الله منه روح الإيمان، فقلنا الروح التي قال الله تبارك وتعالى «وأيّدهم بروح منه»؟ قال: نعم، وقال أبو عبد الله عليه السلام: لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن، وإنَّما أعني ما دام على بطنها، فإذا توضّأ وتاب كان في حال غير ذلك».

وعن محمّد بن عبدة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام أيزني الزاني وهو مؤمن؟ قال: لا إذا كان على بطنها سُلب الإيمان، فإذا قام رُدّ هذا إليه، فإن عاد سُلب، قلت: فإنه يريد أن يعود؟ فقال: ما أكثر من يريد أن يعود فلا يعود إليه أبداً»[1].

ب - الغيبة:

عن الصادق عليه السلام: «الغيبة حرام على كل مسلم وأنها تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»[2].

٢ - حجاب المعرفة

من العبارات التي يرددها العلماء قولهم: «شدّة القرب حجاب» ومعناها أن الإنسان كلما اقترب من الشيء، فإنه يزداد ابتعاداً عنه، ومثال ذلك: عندما يكون لديك صديق تحبه وهو مسافر ومبتعد عنك

---

(١) بحار الأنوار ج ٦٩ ص ١٩٧.

(٢) قرب الإسناد: ١٧ط حجر، ص٢٥ط النجف.

فإنك تراسله وتشتاق إليه حتى إذا سكن قرب منزلك قلّ التواصل معه لاطمئنانك عليه، وهكذا تمر الأيام فيقلّ التواصل، فيصير القرب حجاب وبُعد.

وهكذا حال الإنسان مع التدين، فإنه عندما لا يكون من أهل التدين فإنه يشعر بحبه لذلك، حتى إذا دخل في عالم التدين وصار يعرف بعض الأحكام الشرعية فإن اهتمامه بالتدين يضعف ويصير القرب بُعد.

ومن هنا نجد أن البعيدين عن قبور المعصومين عليهم السلام يشتاقون لزيارتهم بخلاف القريبين... كما نجد أن التدين عند الموجودين في البلاد الغربية قد يكون أشدّ من التدين الموجود عند بعض الناس في بلاد الإسلام.

٣ - تحوّل العبادات إلى عادات

إن تكرار العبادات قد يؤدي إلى صيرورتها عادات روتينية من دون روح ومعنى، وبالتالي تضعف قيمتها وأثرها المعنوي، فلا يزداد إيمان الإنسان.

مثلاً: الصلاة هي معراج المؤمن إلى الله تعالى، فكلما صلّى العبد فريضة ينبغي أن يرتفع بها درجات وزلفى، ولكن تحول الصلاة إلى عادة يفقدها أثرها الإيجابي.

من هنا ورد أن اختبار إيمان الإنسان لا يتم بالصلاة فقط، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لا تغتروا بصلاتهم ولا بصيامهم، فإن الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش، ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة»[١].

---

(١) الكافي ج٢: ٢٧٨.

٤ - العجب والغرور

إن أخطر ما يصيب إيمان الإنسان هو مرض الغرور، فإنه يؤدي بالإنسان إلى الشعور بالكبرياء والتعالي والإكتفاء بما وصل إليه من إيمان.

حُكي أن فارساً ركب جواده فسار به نحو الجبال والأودية، وفجأة توقف الفرس إذ اصطدم بنهر، ورغم أنّه ليس بعميق إلاّ أنّه لم يتقدم مع كل المحاولات التي قام بها الفارس، وكان بجانب النهر رجلاً من الحكماء، فقال للفارس: حرّك الماء بعصاك فإنّه يمشي، وبالفعل بمجرد أن حرَّك الفارس الماء مشى الفرس، فتقدم الفارس من الرجل الحكيم وسأله عن سبب وقوف الفرس وتحرّكه، فقال الحكيم: إنّ الفرس كان يرى نفسه في الماء الصافي فلّما حرّكت الماء ذهبت صورته فمشى... وهكذا المغرور فإنّه لا يرى إلاّ نفسه، فهو لا يسمع لأحد، ولا يلتفت إلى رأي غيره ولذلك فإنه يتوقف عن السير نحو الكمال.

٥ - الإستهانة في الإرتباط بالله تعالى

إن بعض الأشخاص يتوهم أنه بممارسته لبعض الطقوس العبادية قد صار مرضيّاً عند الله تعالى، فيتكلم بالأمور الدينية باستهانة واستخفاف.

كأن يخاطب أو يتكلم عن الله جلّ ثناؤه كمن يُخاطب زميلاً له أو صديقاً أو شريكاً دون تعظيم أو إجلال.

وهذا تجرُّؤ في غير محلِّه، وإقدام مستنكر... بل هو وقاحة، ومثاله:

أ - أن يُدافع عن موقفه، فيدَّعي رفعَ الكِلفة مع خالقه جلَّ وعلا!

ب - كأن يُطَمْئِن مُحدَّثهُ، وأنْ لا عواقب لفعله، فيقول: أترك الله عليَّ! نعوذ بالله عزّ وجلّ.

ج - كأن يستنكر الرزق لغيره، فيقول والعياذ بالله: الله يبعث الحلاوة لِمَنْ ليس له أسنان!

د - أن يُبَرِّر فِعله، فيقول حاشا الله: الله يفعل ما أريد!

هـ - أن يُشير إلى الإستخارة، والتي هي رحمةٌ من ربِّ العالمين علينا... فيقول: أجريت إتصالاً «تلفونياً» مع الله!

نعوذ بالله تعالى.

ومثل هذه الأمور استهان بها الناس، بينما أثرها على النفس والقلب والعبادة، والإيمان كبير... «ولا يستكمل عبدُ الإيمان... حتى يخافَ الله في مزاحه وجدِّه»[1].

٦ - التلاعب بالأحكام الشرعية

إن الإستخفاف بالله تعالى يؤدي بالإنسان إلى الإستخفاف بالشريعة الإسلامية والتلاعب بالأحكام الدينية، فيوجّه الأحكام حسب أهوائه ورغباته، فيأخذ بالأسهل من الاحكام الشرعية ويروّج لها، ويحلّل ويحرّم كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].

---

(١) المحجة البيضاء: ٥/ ٢٥٥. عن كتاب «لماذا يضعف الإيمان» ص ٢٤.

وهذه النوعية من الناس «يتبخَّر» إيمانها بسرعة...

ويكفي أنَّها تتشبّه باليهود، نعوذ بالله، الذين وصفهم الله سبحانه أنّهم يُؤمنون ببعض الكتب ويكفرون ببعض[1].

وورد في النص عن الامام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: «مَنْ أطاع هواه، باع آخرتهُ بدنياه»[2].

وبذلك يكون قد تخلَّ عن الإيمان، واستبدله بالهوى إلهاً يُعبد ويُطاع إلا الله تبارك إسمُه العظيم.

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «ما تحت ظلِّ السماء من إله يُعبدُ من دون الله، أعظم عند الله من هوى مُتَّبع»[3].

وهذه بعض الأمثلة العملية:

١ - لو أقرض مؤمن رجلاً، ولم يُرجع الرجل المال، فيقول المؤمن: أصل تشريع القرض خطأ!

٢ - لو اختلفت امرأةٌ مع زوجها، وعانت منه الكثير، فتقول: لا يوجد رجل مخلص أبداً، كلهم سيّئون؟

٣ - لو وقع سوءُ تفاهم مع رجلٍ مؤمن أو امرأة محجَّبة... فيقول: لا يوجد مؤمن!

أو: كل المحجَّبات غير صالحات، وهنَّ يتسترن بالحجاب!

---

(١) ميزان الحكمة مادة «صدق».

(٢) ميزان الحكمة، الحديث ١٣٢٧.

(٣) راجع سورة البقرة المباركة، الآية ٨٥.

٤ - لو حصل خلاف مع عالم من علماء الدين... لاتّهمهم جميعاً وشتمهم، والعياذ بالله.

فكل هذه الحالات التي تُحكَّم فيها المعاناةُ الشخصية والمشاكلُ وسوءُ التفاهم والمصلحة... وتُغلَّب على مفاهيم الإسلام وأحكامه الأساسية تُساهم في تضعيف الإيمان[١].

٧ - الإستخفاف بالمؤمنين

عندما يُصاب الإنسان بمرض الكبرياء والتعالي عن الناس فإنه يستخف بغيره من أهل الإيمان، فترى البعض يحكم على غيره بـ «الفسق» و«الكفر» وأنهم «بلا دين» و«لا حرمة لهم».

بل إنه قد يتجرأ للتطاول على المقامات الدينية «المراجع» و«الخطباء» و«الروادید» وغيرهم...

وهذا الإستخفاف يُنقِص من إيمان العبد، ولا يعود إلى تمامه إلا بعد الإستغفار والتوبة.

في الحديث: «من أهان مؤمناً أو اتهمه إنماث الإيمان من قلبه كما ينماث الملح في الماء».

قال السيد الخميني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من المحتمل أن يفضي هتك حرمات المؤمنين وكشف عوراتهم بالإنسان إلى سوء العاقبة، لأن هذا العمل الشنيع إذا أصبح ملكة راسخة لدى الإنسان ترك أثاراً في النفس، منها

(١) لماذا يضعف الايمان ص ٥٦.

الضغينة والعداوة تجاه المستغاب التي تزداد شيئاً فشيئاً، فعندما يدنو منه الأجل وتنكشف عنه حجب الملكوت، ويرى المقامات الشامخة للذين اغتابهم وتعظيم الحق سبحانه لهم، قد تحصل عنده الكراهية للحق، لأن الإنسان يعادي المحب لعدوه، ويبغض المحب لمبغوضه، فيخرج من الدنيا وهو كاره للحق والملائكة، ويمنى بالخذلان الأبدي والشقاء الدائم.

عزيزي: تصادق مع عباد الله الذين تشملهم رحمة الله ونعمه، ويتزينون بالإسلام والإيمان وأحببهم في قلبك، وإياك أن تعادي محبوب الحق، لأنه سبحانه يعادي أعداء أحباءه، وسوف يبعدك عن ساحة رحمته، إن عباد الله المخلصين مجهولون بين سائر عباده، ومن الممكن أن يعود عداءك لمؤمن وهتكك حرمته وكشفك عورته، إلى هتك حرمة الله تعالى ومعاداته!»[1]

٨ - التشدّد في الدين

إن حالة التدين مع تشدّد - كما نرى عند البعض - قد تؤدي إلى انفلات وتحلّل، فكم من أشخاص التزموا بتشدّد، ثم لما عرضت لهم الدنيا - كالسفر إلى بلاد الغرب - إنحرفوا، بل قد يتحوّل انحرافهم إلى درجة كبيرة، فبقدر ما يكون تشددهم يصير تفلتهم وانحرافهم.

من هنا ينبغي الدخول إلى التدين برفق كما ورد في الأحاديث الشريفة:

---

(١) الأربعون ص ٢٩٠.

عن رسول الله ﷺ: «خذوا من العبادة ما تطيقون، فإن الله لا يسأم حتى تسأموا»(١).

وعنه ﷺ: «إياكم والتعمّق في الدين، فإن الله قد جعله سهلاً فخذوا منه ما تُطيقون، فإن الله يحب ما دام من عمل صالح وإن كان يسيراً»(٢).

٩ - تغيّر الصفة الدينية

المقصود بهذا العنوان هو أن بعض الأشخاص إذا كانوا في موقع معين أو يحملون صفة دينية خاصة، كـ «رجل دين» أو «مُبلّغ» و«خطيب» و«مجاهد» فإنهم يقومون بوظيفتهم الدينية كصلاة الجماعة وحضور المجالس، حتى إذا تغيرت صفتهم الإجتماعية تركوا ما كانوا عليه من أعمال عبادية.

وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على ضعف الإيمان وأن العامل هو «مرتزق من العمل الديني».

١٠ - الغفلة عن الله تعالى

إن الغفلة عن الأمور العبادية كالذكر والدعاء تؤدي إلى ضعف الإيمان، ومن ذلك ما ورد في الحديث: «الغفلة تركك المسجد».

لذلك لا بد من ارتياد المساجد والقيام بالإذكار والمستحبات - خصوصاً صلاة الليل - حتى يزداد الشحن الروحي ويقوى الإيمان.

---

(١) الرفق ص ٥٥.
(٢) المصدر نفسه.

١١ - اللهو بالدنيا

من طبيعة الدنيا الغرور والزينة والشهوات فإذا اقترب الإنسان منها نقص من إيمانه، وما ضعف الإيمان أو زال إلا لحب الدنيا، فهو «رأس كل خطيئة».

والمعروف بين علماء الأخلاق أن الإكثار من الدنيا - ولو من الحلال - يُقسي القلب، ومن ذلك: الإكثار من الطعام والملذات... عن رسول الله ﷺ: «لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب، فإن القلب يموت كالزرع إذا كَثُر عليه الماء»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «ليس شيءٌ أضرَّ لقلب المؤمن من كثرة الأكل، وهي مُورِّثة شيئين: قسوة القلب، وهيجان الشهوة»[2].

وعن عيسى بن مريم عليه السلام قال: «يا بني إسرائيل، لا تكثروا الأكل، فإنَّه من أكثر الأكل، أكثر النوم، ومن أكثر النوم أقلَّ الصلاة، ومن أقلَّ الصلاة، كُتب من الغافلين»[3].

وهذا النوع من البشر يُخشى عليه من سوء الخاتمة، نعوذ بالله تعالى.

١٢ - الدخول إلى التدين

من خلال الأشخاص أو الجمعيات أو الأحزاب، فمن أدخله الرجال في الدين أخرجوه منه، ومن كانت بدايته ضعيفة لا تورث ثباتاً.

---

(١) ميزان الحكمة.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.

الفصل الخامس

كيف نعالج ضعف الإيمان؟

علاج الضعف الروحي

كما أن القلب يتلوث ويضعف إيمانه، فإن بالإمكان إصلاحه والعمل على ازدياد الإيمان فيه. ويتم ذلك بأمور:

١ - الشحن الروحي

فكما أن الطاقة الجسدية بحاجة إلى شحن مادي - كالطعام والشراب - لكي تقوى وتزداد، كذلك ينبغي الشحن الروحي لازدياد طاقة الإيمان.

عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب، فأسألوا الله ان يجدد الإيمان في قلوبكم»[1].

ويتم ذلك من خلال:

أ - حضور مجالس القرآن والعزاء.

ب - ذكر الله تعالى. قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

ت - ارتياد المساجد.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٤).

وبهذا الشحن الروحي يقوى الإيمان ويزداد.

عن أبي خديجة قال: دخلت على أبي الحسن عليه السلام فقال لي: «إنَّ الله تبارك وتعالى أيّد المؤمن بروح منه تحضره في كلِّ وقت يحسن فيه ويتّقي، وتغيب عنه في كلِّ وقت يذنب فيه ويعتدي، فهي معه تهتزّ سروراً عند إحسانه، وتسيخ في الثرى عند إساءته، فتعاهدوا عباد الله نعمه بإصلاحكم أنفسكم تزدادوا يقيناً وتربحوا نفيساً ثميناً، رحم الله امرءاً همَّ بخير فعمله، أو همَّ بشرّ فارتدع عنه، ثمَّ قال: نحن نؤيد الرّوح بالطاعة لله والعمل له»(١).

وهذا التجديد والشحن الروحي يستلزم أن يكون كل يوم في حياة الانسان يختلف عن سابقه، فمثلاً: من يصلي الصلوات الخمس بسورة يكررها، يجدّد ذلك بأن يغيّر السورة أو القنوت أو يصلي بطريقة جديدة فيها خشوع وبكاء، وهكذا في بقية الأعمال الصالحات.

٢ - طلب الدرجات العلى

إن المؤمن لا يقنع بما هو فيه من إيمان بل يطلب أعلى درجات الإيمان، كما في دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام: «وبلّغ بإيماني أكمل الإيمان».

٣ - الدعاء

المؤمن يطلب المدد الإلهي في كل شيء وخصوصاً في الإيمان، فهو يدعو ربه للثبات على الإيمان وازدياده.

---

(١) بحار الأنوار ج ٦٩ - ١٩٤.

فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «أكثروا من أن تقولوا: «ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا» ولا تأمنوا الزيغ»(١).

٤ - الشكر

وذلك بأن يشكر الله تعالى في كل يوم على نعمة الإيمان والولاية فبالشكر تدوم هذه النعمة وتزداد.

٥ - الشعور بالتقصير

وهو من الأمور الضرورية للمحافظة على الإيمان، والتواضع، والتقرّب إلى الله جلَّ ثناؤه، والإزدياد من العبادات.

ورد عن مولانا الإمام موسى الكاظم عليه السلام أنَّه قال لبعض ولده:

«... وعليك بالجدِّ، ولا تُخرجنَّ نفسك من التقصير في عبادة الله وطاعته، فإنَّ الله لا يُعبدُ حقَّ عبادته»(٢).

وفي الدعاء عن مولانا الباقر عليه السلام لجابر: «يا جابر، لا أَخْرجَكَ الله من النَّقص ولا التقصير»(٣).

وعن الإمام الصادق عليه السلام:

«قال الله عزّ وجلّ لداوود عليه السلام:

يا داوود بشِّر المذنبين وأنذر الصدِّيقين، قال: كيف أبشِّر المذنبين، وأنذر الصديقين؟ قال: يا داوود بشِّر المذنبين أنِّي أقبل التوبة، وأعفو

(١) أدعية القرآن ص ١٨١.
(٢) ميزان الحكمة.
(٣) المصدر نفسه.

عن الذنب، وأنذر الصديقين ألا يعجبوا بأعمالهم، فإنه ليس عبدٌ أنصبه للحساب إلاّ هلك»[١].

٦ - مجالسة الصالحين

إن مجالسة الصالحين مدعاة لازدياد الإيمان حيث أنهم يذكّرون بالله تعالى وأوليائه، فمجالسهم وأحاديثهم مباركة.

من هنا كان «النظر إلى وجه العالم عبادة»[٢]. فكيف بهم إن نطقوا؟

عن رسول الله ﷺ: «قالت الحواريون لعيسى: يا روح الله، مَنْ نُجالس؟ قال: من يُذكركم الله رؤيته؟ ويزيد في عِلمكم منطقه، ويُرغبكم في الآخرة عملهُ»[٣].

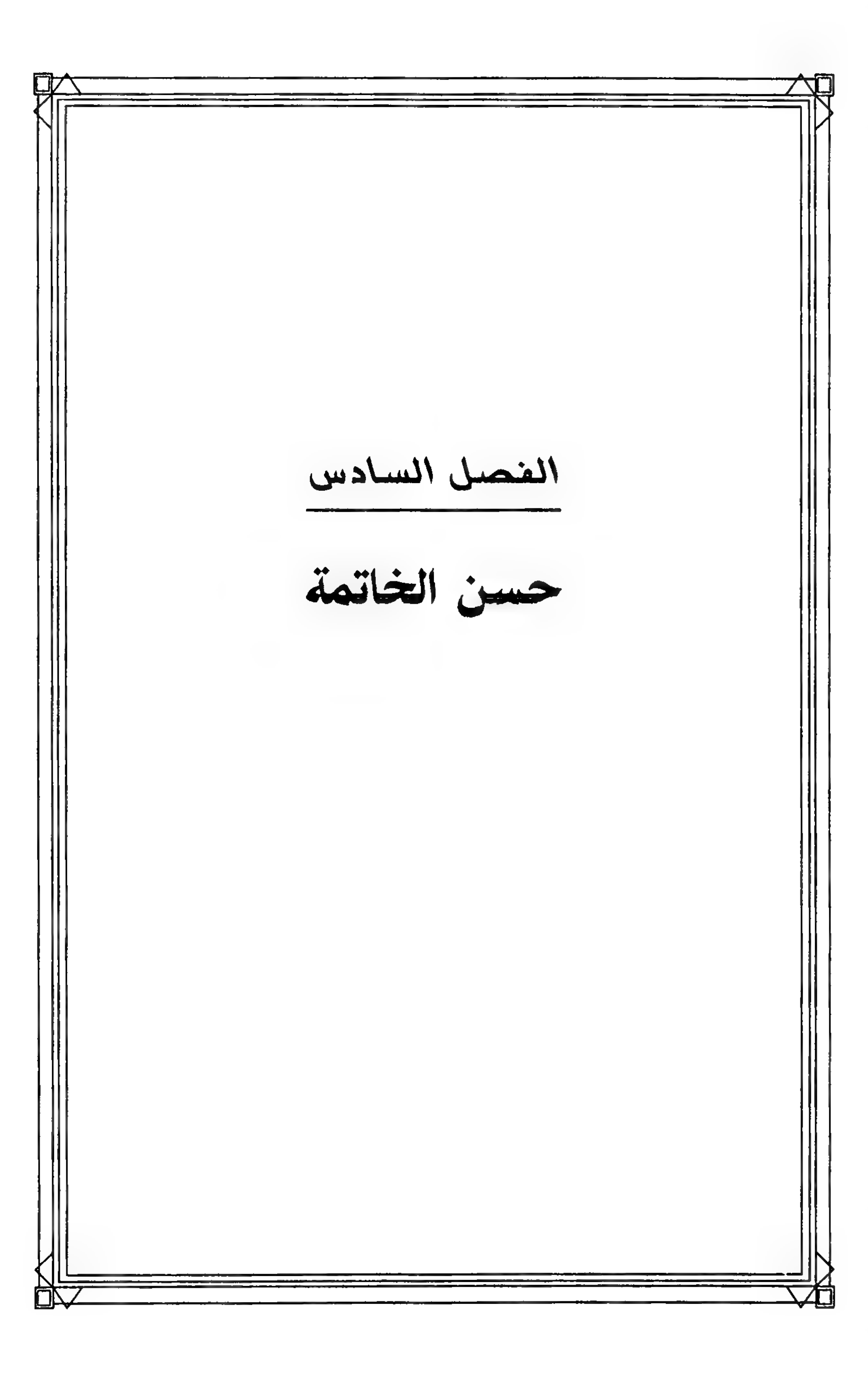
وعندما سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن النظر إلى وجوه العلماء... قال: «هو العالِمُ الذي إذا نظرت إليه ذكَّرك الآخرة، ومن كان خلاف ذلك، فالنظر إليه فتنة»[٤].

وإذا لم يجد المؤمن من يذكره بالله تعالى، فعليه بالإطلاع على سيرة الصالحين وما فيها من عِبر ودروس أمثال حياة السيد علي بن طاووس رحمه الله والشيخ جواد التيريزي وغيرهما من العرفاء.

قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) ميزان الحكمة، الحديث ١٣٤٣٦.
(٣) الكافي الشريف، ج١، ص٣٩، ح٣.
(٤) ميزان الحمكة، الحديث ١٣٤٣٨.



الفصل السادس

حسن الخاتمة

الثبات في زمن التقلبات

نحن نعيش في زمن تكثر فيه وسائل التقلبات، فالإنسان قد يُسرع إلى المحبة والبعض، والولاء والعداء، والرضى والغضب، وذلك من خلال ما يحدث له من غنى أو فقر، وقوة أو ضعف...

ومن أخطر الأمور التي تؤدي إلى التغيير والإنقلاب:

١ - الغنى بعد الفقر.

٢ - عدم تحمل صدمات الموت والبلاء.

٣ - إتباع وساوس الشيطان حال الاحتضار، وهو ما يؤدي إلى العديلة عند الموت.

ولذلك فإن من الضروري العمل على الوسائل التي تبقي الإيمان ثابتاً لا يتزلزل ولا يتغير.

فعن الإمام الصادق عليه السلام: «إنما المؤمن الذي إذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق، والذي إذا رضى لم يدخله رضاه في باطل، والذي إذا قدر لم يأخذ أكثر من ماله»[(١)].

---

(١) سفينة البحار: ج١، ص ١٤٧.

ومن وسائل الثبات:

١ - **الإيمان الصادق**، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

٢ - **تدبّر قصص الأنبياء** عليهم السلام، لما فيها من معاني الثبات والصمود والصبر وتحمل الأذية والبلاء كقصة إبراهيم عليه السلام ونوح عليه السلام وموسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

وفي الواقع فإن في كل قصة من قصص الأولياء عليهم السلام نتعلم معنى من معاني الثبات: فنتعلم من النبي نوح عليه السلام الثبات في الدعوة الى الله تعالى. ونتعلم من النبي أيوب عليه السلام الثبات عند البلاء، ونتعلم من النبي يوسف عليه السلام الثبات عند فتنة النساء وهكذا.

٣ - **الإستقامة على الدين**، قال تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ﴾ [الشورى: ١٥].

٤ - **ذكر الله تعالى**، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]. فذكر الله تعالى يعين على أهوال الحروب والجهاد.

٥ - **الدعاء**، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

حسن الخاتمة على الإيمان

حسن الخاتمة هو أن يُوفق العبد للتوبة قبل الموت، ثم تكون خاتمة حياته في طاعة الله تعالى ورضاه، فعن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله، قيل: وكيف يستعمله؟ فقال ﷺ: يوّفقه لعمل صالح قبل موته ثم يقبضه عليه»[١].

وعن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: «إنَّ حقيقة السعادة أن يختتم للمرء عمله بالسعادة، وأن حقيقة الشقاء أن يختتم للمرء عمله بالشقاء»[٢].

وقد نبّه الله تعالى في كتابه جميع المؤمنين إلى أهمية حسن الخاتمة، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

وقال عيسى بن مريم عليه السلام: «يا معشر الحواريّين بحق أقول لكم إنَّ الناس يقولون: إن البناء بأساسه، وإني لا أقول لكم كذلك.

قالوا: فماذا تقول يا روح الله؟

---

(١) الترمذي.

(٢) المعاد: ج١، ص ١٨١.

قال: بحق أقول لكم: إنَّ آخر حجر يضعه العامل هو الأساس».
قال أبو فروة: إنَّما أراد خاتمة الأمر»[1].

فإذا ختم المرء حياته بالإيمان نزلت عليه ملائكة الرحمة تبشّره بالفوز بالجنان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

وعن أبي بصير قال: قُلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: جعلتُ فداك، يُستكره المؤمن على خروج نفسه؟

قال: لا، والله.

قال: قلتُ: وكيف ذاك؟

قال: إنَّ المؤمن إذا حضرتهُ الوفاةُ حضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهلُ بيته: أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب وفاطمة والحسنُ والحسينُ وجميعُ الأئمَّة عليهم السلام ويحضره جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيلُ، وعزرائيلُ عليهم السلام.

قال: فيقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: يا رسول الله إنَّه كان ممن يحبنا ويتولانا، فأحبَّه.

قال: فيقولُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا جبرائيل، إنَّه ممن كان يحبُّ علياً وذريَّتهُ فأحبه، ويقول جبرائيل لميكائيل وإسرافيل عليهما السلام مثل ذلك. ثم يقولون جميعاً لملك الموت: إنَّه ممن كان يحب محمداً وآله، ويتولى علياً وذريته فارفق به.

قال: فيقول ملكُ الموت: والذي اختاركم وكرمّكم، واصطفى

---

(١) بحار الأنوار: ج٧١، ص ٣٦٤، باب ٩٠، ح ٥.

محمداً ﷺ بالنبوة، وخصَّه بالرسالة؛ لأنا أرفق به من والدٍ رفيقٍ، وأشفق عليه من أخ شفيقٍ. يقوم إليه ملك الموت فيقول: يا عبد الله، أخذت فكاك رقبتك؟ أخذت رهن أمانك؟

فيقول: نعم! فيقول ملك الموت: فبماذا؟ فيقول: بحبي محمداً وآله، وبولايتي علي بن أبي طالب وذريته.

فيقول: أما ما كنت تحذر فقد آمنك الله منه، وأمَّا ما كنت ترجو فقد أتاك الله به. افتح عينيك، فانظر إلى ما عندك.

قال: فيفتح عينيه فينظر إليهم واحداً واحداً، ويفتح له باب إلى الجنة، فينظر إليها. فيقول له: هذا ما أعدَّ الله لك، وهؤلاء رفقاؤك، أفتحب اللحاق بهم أو الرجوع إلى الدنيا؟

قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: أما رأيت شخوصه، ورفع حاجبيه إلى فوق من قوله: لا حاجة لي إلى الدنيا، ولا الرجوع إليها. ويناديه منادٍ من بطنان العرش يسمعه ويسمع من بحضرته: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ إلى محمد ووصيِّه والأئمَّة من بعده ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً﴾ بالولاية، ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ بالثواب، ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾ مع محمدٍ وأهل بيته ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠] غير مشوبةٍ»[1].

(١) الموت والبرزخ ص ٤٩.

علامات حسن الخاتمة

وأما علامات حسن الخاتمة فهي ما يلي:

١ - **النطق بالشهادة عند الموت**، فعن رسول الله ﷺ أنه قال: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة، فلقنّوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله»(١).

وقال سلمان الفارسي لرسول الله ﷺ: ما زاد التقوى؟ فقال ﷺ: «إذا كان آخر يوم من الدنيا لقنّك الله قول شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن أنت قلتها لقيتني ولقيتك، وإن أنت لم تقلها لم تلقني ولم ألقك أبداً».

ومن هنا جاء الحث على تلقين الميت للشهادة.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «فإذا حضرتم موتاكم فلقنوهم بشهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله حتى يموتوا»(٢).

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله والولاية»(٣).

---

(١) النمارق الفاخرة: ج٢، ص ٣٩.
(٢) الفقيه: ج١٢، ص ٢٠١.
(٣) النمارق الفاخرة: ج٢، ص ٣٤.

عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: «إذا أدركت الرجل عند النزع، فلقنه كلمات الفرج **لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلي العظيم، سبحان الله ربِّ السموات السبع، ورب الأرضين السبع، وما فيهن، وما بينهن، وربِّ العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين**»(١).

٢ - **الموت برشح الجبين،** ففي قصة وفاة الإمام علي عليه السلام ورد: «... في تلك الليلة تزايد السم في جسده الشريف، ونظرنا إلى شفتيه وهما تختلجان بذكر الله تعالى، وجعل جبينه يرشح عرقاً وهو يمسحه بيده ويقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنَّ المؤمن إذا نزل به الموت ودنت وفاته عرق جبينه وصار كاللؤلؤ الرطب وسكن أنينه»(٢).

٣ - **الموت يوم الخميس والجمعة،** فعن الإمام الصادق عليه السلام: «من مات ما بين زوال الشمس من يوم الخميس إلى زوال الشمس من يوم الجمعة أعاذه الله من ضغطة القبر»(٣).

يُنقل عن المرحوم آية الله العظمى السيد محمد تقي الخونساري - قدس سره - أنه كان يتمنّى أن يكون موته بين ظهر الخميس وظهر الجمعة، إذ في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أن ذلك أمان للمؤمنين من ضغطة القبر، فلما كان ينتهي ظهر الجمعة ولم يمت! يقول بحسرة وتأسف: هذه الجمعة ذهبت أيضاً، وأنا لم أذهب(٤)!

---

(١) الوسائل: ج٢، باب ٣٨.

(٢) منتهى الآمال: ج١، ص ٢٥٢.

(٣) منازل الآخرة: ص ٥٥.

(٤) قصص وخواطر ص ٣١٠.

٤ - **الشهادة في سبيل الله تعالى**، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١].

٥ - **الموت بعد عمل صالح**، فعن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قال لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله خُتم له بها دخل الجنة، ومن صام يوماً ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة، ومن تصدّق بصدقة ابتغاء وجه الله خُتم له بها دخل الجنة»(١).

وفي الخبر: كتب الإمام الصادق عليه السلام إلى بعض الناس: إنَّ أردت أن يختم بخير عملك حتى تُقبض وأنت في أفضل الأعمال، فعظم لله حقه أن تبذل نعماءه في معاصيه، وأن تغتر بحلمه عنك، وأكرم كل من وجدته بذكرنا أو ينتحل مودتنا، ثم ليس عليك صادقاً كان أو كاذباً، إنما لك نيتك وعليه كذبه»(٢).

٦ - **الموت على محبة أمير المؤمنين** عليه السلام، فعن رسول الله ﷺ أنه قال لعلي: «يا علي من مات وهو يحبك ختم الله عز وجل له بالأمن والإيمان، ومن مات وهو يبغضك لم يكن له في الإسلام نصيب»(٣).

---

(١) رواه أحمد.

(٢) سفينة البحار، مادة «ختم».

(٣) آثار وبركات أمير المؤمنين ص ١٢١.

أيها الأخ العزيز:

إنَّ حسن الخاتمة بالعودة إلى الله تعالى.

إنَّ حسن الخاتمة بالتوبة والإنابة.

إنَّ حسن الخاتمة بالموت على ولاية آل محمد عليهم السلام.

إنَّ حسن الخاتمة بأن تكون خاتمة حياتك وأنت في حال الصلاة والذكر وتلاوة القرآن.

وإن أولياء الله تعالى يتمنون أن يختموا حياتهم وهم في هذه الأحوال، فمثلاً:

الشيخ محمد جواد مغنية رحمه الله كان يتمنى أن يختم عمره وهو على منبر الإمام الحسين عليه السلام، وقد استجيب له، فسقط على الأرض وهو على المنبر.

وكان السيد محمد باقر الشفتي (الأصفهاني) في درجة عالية من التقوى والورع عن محارم الله، وقبل أن يوافيه الأجل بقليل أدى صلاة الظهر ونوافلها ولمّا كان قائماً يريد الصلاة استولى عليه الضعف، فجلس على سجادته وتناول في آخر لحظات عمره حبّات من تربة سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام، عندها عرجت روحه الكريمة إلى الملكوت الأعلى، ملبية نداء ربها: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠] (١).

---

(١) قصص وخواطر ص ١٦٢.

قصص عن حسن الخاتمة

شاب يهودي ينجو من النار بفضل الرسول ﷺ

كان هناك غلام من اليهود يأتي رسول الله ﷺ كثيراً حتى استخفه وربما أرسله في حاجة وربما كتب له الكتاب إلى قوم.

أفتقد رسول الله ﷺ الغلام أياماً فسأل عنه، فقال قائل: تركته في آخر يوم من أيام الدنيا.

لما تناهى نبأ قرب وفاته إلى الرسول ﷺ، أتاه في ناس من أصحابه وكان ﷺ بركة لا يكاد يكلم أحداً إلا أجابه. فقال: يا فلان! فتح الغلام عينه فقال: لبيك يا أبا القاسم.

فقال: إشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله.

نظر الغلام إلى أبيه فلم يقل شيئاً ثم ناداه رسول الله ثانية وقال له مثل قول الأول فالتفت الغلام إلى أبيه فلم يقل له شيئاً ثم ناداه رسول الله ثالثة فالتفت الغلام إلى أبيه.

فقال أبوه إن شئت فقل وإن شئت فلا.

فقال الغلام: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، ومات مكانه

فقال رسول الله لأبيه: أخرج عنا. ثم قال لأصحابه: غسلوه وكفنوه وأتوني به أصلي عليه، ثم خرج وهو يقول: الحمد الله الذي أنجي بي اليوم نسمة من النار[1].

---

(١) مشكاة الأنوار: الطبرسي، ص ١٥٦، بتصرف قليل.

الحر بن يزيد الرياحي وخاتمة الخير

إنَّ الحر بن يزيد الرياحي صار مأموراً من قبل عبيد الله بن زياد - لعنه الله - لمواجهة الإمام الحسين عليه السلام وارتكب أعمالاً قبيحة ثم رجع وتاب ولحق بالحسين عليه السلام فلما دنا من جيش الإمام الحسين عليه السلام قلّب ترسه فقالوا: أمستأمن؟ حتى إذا عرفوه سلّم على الحسين وقال: جعلني الله فداك يابن رسول الله، أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع وسايرتك في الطريق وجعجعت بك في هذا المكان، والله الذي لا إله إلا هو ما ظننت أن القوم يردون عليك ما عرضت عليهم أبداً ولا يبلغون منك هذه المنزلة، فقلت في نفسي: لا أبالي أن أصانع القوم في بعض أمرهم ولا يظنون أني خرجت من طاعتهم وإنّي قد جئتك تائباً مما كان مني إلى ربي ومواسياً لك بنفسي حتى - أموت بين يديك، أفترى لي توبة.

أخبره الحسين عليه السلام أنَّ الله سيقبل توبته ويغفر له ذنوبه.

ترجّل الحر عن فرسه وقال: أنا لك فارساً خير مني راجلاً، أقاتلهم على فرسي ساعة، فحمل على القوم وقاتلهم ثم شدت جماعة على الحر فقتلوه فلما صرع وقف عليه الحسين عليه السلام وقال له: أنت كما سمتك أمك الحر، حر في الدنيا وسعيد في الآخرة[١].

---

(١) الأخلاق الإسلامية، ص ٢٧٠.

الفوز بحسن العقبى
إثر التغاضي عن مال الحرام

قال علي بن أبي حمزة: كان لي صديق من كتّاب بني أمية فقال لي: إستأذن لي علي أبي عبد الله عليه السلام فاستأذنت له عليه، فأذن له، فلما أن دخل سلّم وجلس ثم قال: جُعلت فداك، إني كنت في ديوان هؤلاء القوم فأصبت من دنياهم مالاً كثيراً وأغمضت في مطالبه (وكان يجمع لهم الخراج).

قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: لولا أن بني أمية وجدوا من يكتب لهم ويجبي لهم الفيء ويقاتل عنهم ويشهد جماعتهم لما سلبونا حقنا، ولو تركهم الناس وما في أيديهم ما وجدوا شيئاً إلا ما وقع في أيديهم.

قال علي بن أبي حمزة: فقال الفتى: جُعلت فداك، فهل لي مخرج منه؟

قال عليه السلام: إن قلت لك تفعل؟

قال: أفعل.

قال له: فاخرج من جميع ما اكتسبت في ديوانهم، فمن عرفت منهم رددت عليه ماله، ومن لم تعرف تصدقت به، وأنا أضمن لك على الله عزّ وجلّ الجنة.

قال علي بن أبي حمزة: فأطرق الفتى رأسه طويلاً ثم قال: «قد فعلت، جُعلت فداك».

فرجع الفتى معنا إلى الكوفة فما ترك شيئاً على وجه الأرض إلا خرج منه حتى ثيابه التي كانت على بدنه.

قال: فقسمنا له قسمة واشترينا له ثياباً وبعثنا له بنفقة، فما أتى عليه أشهر قلائل حتى مرض، وكنا نعوده، فدخلت عليه يوماً وهو في الثياب ففتح عينيه ثم قال: «يا علي وفي لي والله صاحبك».

ثم مات فولينا أمره.

فخرجت حتى دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فلما نظر إليّ قال: يا علي! وفينا والله لصاحبك.

قال: فقلت صدقت جُعلت فداك هكذا قال لي والله عند موته[١].

(١) الكلمة الأخيرة ص ٣١٩.

الفوز بحسن العقبى عند الاحتضار

روى أحد تلامذة الإمام الصادق عليه السلام وكان يدعى معاوية بن وهب أنه سار في قافلة تطلب مكة لأداء فريضة الحج وكان يرافقهم فيها شيخ زاهد يكثر من العبادة لكنه لم يكن على مذهب شيعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، وكان جاهلاً بنهجه ومذهبه، فكان يؤدّي الصلاة دون قصر. وفي أحد المنازل توعكت صحة الرجل فاقترح معاوية على ابن أخيه وكان يحضرهم أن يقترح على عمه تقبّل مذهب الشيعة في لحظات عمره الأخيرة عساه ينجو برحمة من ربه.

اعترض جميع من في الركب وطلبوا إليه أن يترك الرجل وشأنه وكان وصغه على ما هو عليه لا بأس به في رأيهم.. لكن أبن أخيه لم يطق ترك الموضوع فأخبره عمه أن الأمة قد ارتدت عن أمر رسول الله بعد وفاته إلا النزر القليل منهم، وكانت طاعة علي بن أبي طالب عليه السلام مفروضة عليهم كطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما ألزمهم بذلك الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه.

تنهد الشيخ وهتف يؤكد بأنه أيضاً على هذه العقيدة ثم زفر أنفاسه الأخيرة ووافته المنية في تلك اللحظة.

بعد أيام زار معاوية وعدد من أصحابه الإمام الصادق عليه السلام ، فسرد

عليه أحدهم ويدعى، «علي بن السري» تفاصيل ما جرى في آخر أيام حياة الشيخ، فقال عليه السلام : «هو رجل من أهل الجنة».

تساءل علي بن لاسري وكيف يكون ذلك وقد كان الشيخ جاهلاً بأمر الشيعة حتى ساعاته الأخيرة!.

قال أبو عبد الله عليه السلام : «فتريدون منه ماذا؟ قد دخل والله الجنة»[١].

(١) الأصول من الكافي ج ١، ص ٤٤٠.

فوز آثم بخاتمة الخير

قال أبو بصير: كان لي جار يتبع السلطان فأصاب مالاً فاتخذ قياناً وكان يجمع الجموع ويشرب المسكر ويؤذيني، فشكوته إلى نفسه غير مرة فلم ينته، فلما ألححت عليه قال: يا هذا، أنا رجل مبتلى وأنت رجل معافى فلو عرفتني لصاحبك رجوت أن يستنقذني الله بك، فوقع ذلك قلبي، فلما صرت إلى أبي عبد الله عليه السلام ذكرت له حاله.

فقال لي: إذا رجعت إلى الكوفة فإنه سيأتيك فقل له: يقول لك جعفر بن محمد: اترك ما أنت عليه واضمن لك على الله الجنة.

قال: فلما رجعت إلى الكوفة أتاني فيمن أتى فاحتسبته حتى خلا منزلي، فقلت: يا هذا إني ذكرتك لأبي عبد الله عليه السلام فقال: إقرأه السلام وقل له يترك ما هو عليه وأضمن له على الله الجنة. فبكى ثم قال: الله، قال لك جعفر هذا؟

قال: فحلفت له أنه قال لي ما قلت لك.

فقال لي: حسبك، ومضى فلما كان بعد أيام بعث إليّ ودعاني، فإذا هو خلف باب داره عريان، فقال: يا أبا بصير ما بقي شيء إلا وخرجت عنه وإني كما ترى، فمشيت إلى إخواني فجمعت له ما كسوته

به. ثم لم يأتي على الرجل إلا يسير حتى بعث إلى أبي بصير يخبره يطلب منه أن يأتيه.

قال أبو بصير: فجعلت اختلف إليه وأعاجله حتى نزل به الموت فكنت عنده جالساً وهو يجود بنفسه ثم غشي عليه غشية ثم أفاق فقال: يا أبا بصير، قد وفى صاحبك لنا، ثم مات.

فحججت فأتيت أبا عبد الله عليه السلام فاستأذنت عليه فلما دخلت، قال مبتدئاً من داخل البيت وإحدى رجلي في الصحن والأخرى في دهليز داره: يا أبا بصير، قد وفينا لصاحبك[1].

(١) بحار الأنوار: المجلد ٤٧، معجزات الإمام الصادق عليه السلام.

عند حَبْلِ المشنقة

جاءت ساعة الشنق للرجل الشامخ آية الله الشيخ فضل الله النوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكان الناس المغلوبون على أمرهم يتفرجون على الموقف من بُعد مسافة ويحول بينهم وبين منصة الشنق رجال الشرطة.

فأحضروا الشيخ بعمامته البيضاء وعباءته، ماسكاً بيده عصاه ومحاطاً بالمأمورين.. يمشي مشية الصامدين وكأن الصبر يمشي متمثلاً في رجل ثابت القدم بارد الأعصاب مطمئن النفس.

هكذا وصفه أعداؤه الذين انبهروا بقوة شخصيته الإيمانية العظيمة. وقد نقلوا تلك اللحظات كما يلي: ألقى الشيخ النوري نظرة إلى الناس المتجمهرين، ثم نظر إلى السماء وتلا قوله تعالى: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤].

ثم خطى نحو المشنقة.. وكان الوقت ساعة ونصف قبل غروب الشمس من يوم الثالث عشر من شهر رجب سنة (١٣٢٧) للهجرة، يوم ميلاد الإمام علي أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وفي الأثناء عصفت رياح شديدة وكانت لحيته البيضاء الطويلة تتجاذب مع تجاه الرياح، ولكن الشيخ البالغ من العمر سبعين عاماً لم تحرّكه رياح الهزيمة سياسية كانت أم طبيعية.

وفجأة نادى الشيخ خادمه من بين الناس، واسمه (ناد علي)، فأخذ شق صفوف الناس حتى أوصل نفسه إلى الشيخ وقال: نعم سيدي. فخمد ضجيج المتجمهرين، لينظروا ماذا عند الشيخ مع خادمه. فرأوه قد أدخل يده في جيبه وأعطى خادمه (ختمه) الذي كان يوقّع به رسائله وبياناته فأمره أن يكسر الختم كيلا يقع بعد شنقه بيد أعدائه فيزوّرون عليه آراءه ومواقفه للناس ولمن يأتي من بعده. إنه حقاً لمن المواقف البطولية الفريدة من نوعها. فنفّذ الخادم طَلب الشيخ أمام عين الشيخ ومرأى الناس.

عند ذلك رمى الشيخ بعصاه على الأرض، ثم خلع عباءته السوداء الرقيقة الصيفية ورماها أمام الناس، ثم أركبه الشرطة على ظهر بغلة استعداداً للشنق فأخذ يخاطب في الناس عشر دقائق.. فمما قاله لهم: «إلهي إشهد أنني قلتُ للناس ما لزم لي قوله. إلهي كن شاهداً أنني أقسمتُ للناس بقرآنك الكريم. إلهي إشهد لي في هذه اللحظات الأخيرة فإني أكرّر قولي لهم: إنَّ القائمين في هذه الحكومة أناس ليس لهم دين، ولقد أضلّوا الناس بدعاياتهم، إن أساس هذه الحكومة مخالف للإسلام، وليبقى الحكم بيني وبينكم عند النبي محمد بن عبد الله ﷺ».

وهنا أخذ الشيخ عمامته ورفعها بيده يلوح بها أمام الناس وهو يقول للعلماء: فإذا سلبوا مني هذه العمامة، إعلموا أنهم سوف يسلبونها منكم يوماً.. ثم رماها إلى الناس.

وفي هذه الأثناء وضعوا حبل المشنقة في رقبة الشيخ، وحرّكوا البغلة من تحته ورفعوا الحبل، فأصبح الشيخ معلّقاً مشنوقاً. وهبّت

الرياح بشدة مرة أخرى وارتفع الغبار من الأرض وكان الجو حاراً والناس يتصببون عرقاً.

يضيف راوي هذه اللحظات إننا رأينا فيما بعد كيف ابتُلي كلّ من ساهم في هذه الجريمة، فتورط في مشاكل لم يحسب لها حساباً من قبل[1].

---

(١) قصص وخواطر ص ٥٩٦.

ماتت في ليلة الزفاف

هذه القصة هي كما قال ناشرُها حقيقيةٌ وواقعيَّةٌ وليست ضرباً من الخيال.. خططتُها لكم كي يتعظ بها من كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد.. كي يأخُذ العاقل منها الفائدة ويتعلّم من صاحبتها العظة.. فصاحبةُ قصتنا هذه فتاةٌ مسلمةٌ صادقةٌ مع الله تعالى.. وإليك قصتها باختصارٍ.

حفل الزفاف.. الليلةُ موعدُ زفاف العروس.. كلُّ الترتيبات اتخذت.. الكلُّ كان مهتمّاً بها..

أمُّها وأخواتُها وجميع أقاربها.. الجميعُ منتظرون الكوافيرة لتجهيز العروس لحفلِ زفافها.. تأخَّرت الكوافيرة ومضى الوقتُ مسرعاً.. ثم وصلت وبدأت عملها.. حتى اقترب موعدُ أذان المغرب..

طلبت العروس من الكوافيرة أن تُعجِّل في عملها قبل أن يؤذِّن المغرب.. فهي لم تتعود منذ صغرها أن تؤخِّر الصلاة عن وقتها..

وتمضي اللحظات.. وفجأة انطلق صوت الحقِّ قائلاً.. الله أكبر.. الله أكبر.. إنَّهُ أذان المغرب.. والعروسُ بدت مرتبكةً ومهمومةً بل حزينةً تريد أن تُصلِّي.. فقالت للكوافيرة: أرجوك بسرعةٍ.. وكانت الكوافيرة تردّ عليها وتقول: إنَّنا نحتاج لبعض الوقت اصبري قليلاً وأنت

الليل عروس وماذا لو أنَّك تأخرت قليلاً.. ومضى الوقت.. والعروس تُصرُّ على الصلاة.. والجميع يحاول أن يثنيها عن الصلاة إلى أن تنتهي الكوافيرة من عملها.. قائلين لها إذا توضأت ستهدمين كل ما عملناه منذ ساعاتٍ.. ولكن العروس المؤمنة أصرَّت في هذه المرة على موقفها..

وعقدت العزمَ وتوكلت على الله وألقت بأقوالهم خلف ظهرها.. فما عند الله خيرٌ وأبقى.

وقامت العروس المؤمنةُ بشموخ المسلم الصادق فتوضأت. ثم فرشت سجادتها لتبدأ الصلاة.. وظهر عليها وهي قائمة بين يدي الله من السعادة أضعاف ما كانت عليه من السعادة حين كانت تجهَّزُ لتُزّف إلى زوجها.. وارتسمت على هيئتها الراحةُ والطمأنينةُ..

اللهُ أكبرُ.. نعم اللهُ أكبرُ من كلِّ شيء.. ومن كلِّ أمر.. وها هي العروس وصلت للركعة الثالثة عند التشهد الأخير من صلاتها.. والأهلُ يرمقونها بنظراتهم الغريبة، وينتظرون فراغها من الصلاة بلهفةٍ شديدةٍ.. كي تعود إلى ما كانت عليه..

وما إن سلّمت حتى أسلمت روحها إلى بارئها.. ورحلت عن هذه الدنيا طائعةً لربِّها عاصيةً لشيطانها.

مات وهو يقرأ القرآن

كانَ هناك شخصٌ يسير بسيارته سيراً عادياً، وفجأةً تعطلت سيارتُهُ في أحد الأنفاق المؤدية إلى المدينة.. ترجل هذا الشابُّ من سيارته لإصلاح العطل في أحد العجلات وعندما وقف خلف السيارة لكي ينزل العجلة السليمة، جاءت سيارة مسرعة وارتطمت به من الخلف.. سقط مصاباً إصابات بالغةٍ..

يقول أحد العاملين في مراقبة الطرق: حضرت أنا وزميلي وحملناه معنا في السيارة وقمنا بالاتِّصال بالمستشفى لاستقباله شابٌّ في مقتبل العمر.. متديِّنٌ يبدو ذلك من مظهره.. وعندما حملناهُ يهمهم.. ولعجلتنا لم نميِّز ما يقولوه، ولكن عندما وضعناه في السيارة وسرنا به.. سمعنا صوتاً مميزاً إ نَّه يقرأ القرآن وبصوتٍ نديٍّ. سبحان الله لا تقول هذا مصابٌ.. الدم قد غطَّى ثيابه.. وتكسرت عظامه.. بل هو على ما يبدو على مشارف الموت..

استمر يقرأ القرآن بصوتٍ نديٍّ جميل.. يرتل القرآن.. لم أسمع في حياتي مثل تلك القراءة.. أحسست أن رعشةً سرت في جسدي وبين أضلعي.. وفجأةً سكت ذلك الصوت.. التفتُّ إلى الخلف فإذا به

يتشهد ثمَّ انحنى رأسه... قفزت إلى الخلف.. لمست يده.. تحسست قلبه.. أنفاسه.. لا شيء لقد فارق الحياة..

نظرت إليه طويلاً.. سقطت دمعةٌ من عيني.. أخفيتها عن زميلي.. التفتُّ إليه وأخبرته أن الشابَّ قد مات.. انطلق زميلي في بكاءٍ.. أما أنا فقد شهقت شهقةً وأصبحت دموعي لا تتوقف من كثرة البكاء.. أصبح منظرنا داخل السيارة مؤثراً جداً.. وصلنا المستشفى.. أخبرنا كل من قابلنا عن قصة هذا الشابِّ.. الكثيرون تأثَّروا من حادثة موته.. وذرفت أعينهم الدموع.. أحدهم بعدما سمع قصة هذا الشابِّ ذهب إليه وقبّل جبينه.. الجميع أصرَّوا على عدم الذهاب حتى يعرفوا متى يُصلَّى عليه ليتمكنُوا من الصلاة عليه.

وفعلاً اتصل أحدُ الموظفين في المستشفى بمنزل المُتوفَّى.. كان المتحدِّث أخوه.. قال عنه. إنَّه يذهب كل إثنين لزيارة جدته الوحيدة في القرية.. كان يتفقَّدُ الأرامل والأيتام.. والمساكين.. كانت تلك القرية تعرفه فهو يحضر لهم الكتب والأشرطة الدينية.. وكان يذهب وسيارته مملوءة بالأرز والسّكر لتوزيعها على المحتاجين.. وحتى حلوى الأطفال كان لا ينساها ليفرحهم بها..

وكان يرّد على من يثنيه عن السفر ويذكر له طول الطريق.. قائلاً له: إنني أستفيد من طول الطريق بحفظ القرآن ومراجعته.. وسماع الأشرطة والمحاضرات الدينية.. وإنني احتسب عند الله كل خطوةٍ أخطوها.

وفي الغد غّص المسجد بالمصلِّين.. صلَّيتُ عليه مع جموع

المسلمين الكثيرة.. وبعد أن انتهينا من الصلاة حملناه إلى المقبرة.. أدخلناه في تلك الحفرة الضيقة.. استقبل أول أيام الآخرة.. وكأنَّني استقبلت أنا أول أيام الدنيا.

الشاب المعاكس

يقولُ أحد الأشخاص: كنت أمشي في سيارتي بجانب السوق.. فإذا بشابٍ يعاكس فتاةً، يقول فترددت هل أنصحه أم لا؟ ثم عزمت على أن أنصحه، فلما نزلت من السيارة هربت الفتاة وخاف الشابُّ.

ولما وصلت إليه رأيتهُ مرتبكاً.. فسلمتُ عليه وقلتُ له: إنَّما أخٌ أحببت لك الخير فأحببتُ أن أنصحك.. ثم جلسنا وبدأتُ أذكِّرهُ بالله تعالى حتى ذرفت عيناه... ثم تفرَّقنا وأخذت رقم هاتفه وأخذ هو أيضاً رقم تلفوني.. وبعد أسبوعين كنت أفتِّش في جيبي فوجدت رقم الشابِّ فقلت في نفسي: اتصل به.. وأرى ماذا صنع.. وكان الوقتُ صباحاً فاتصلتُ به قلتُ: السلام عليكم.. فلان هل عرفتني..؟

فقال لي: وكيف لا أعرف الصوت الذي سمعتُ به كلمات الهداية وأبصرت به النور وطريق الحقِّ.. ثم ضربنا موعداً للقاء في اليوم نفسه بعد العصر، وقدّر الله تعالى أن يأتيني ضيوفٌ لم أستطع أن أعتذر منهم، فتأخرت على صاحبي حوالي الساعة ثم ترددت هل أذهب إليه أو لا.

فقلتُ أفي بوعدي ولو متأخِّراً، وعندما طرقت الباب فتح لي والده.. فقلت السلام عليكم. فقال: وعليكم السلام..

قلتُ: فلانٌ موجود.

فأخذ الأبُّ ينظر إلي بدهشة عجيبةٍ. . فقلت: فلانٌ موجود - وهو ما زال ينظر إلي باستغراب شديدٍ - ثم قال لي: يا ولدي إنَّ الذي تسأل عنهُ قد مات. . وهذا تُراب قبره قد دفنَّاه قبل قليل.

قلتُ: يا عم لقد كلمني في هذا الصباح اليوم. .

فقال أبوه: نعم لقد صلَّى الظهر ثم جلس في المسجد يقرأ القرآن. . وعاد إلى البيت، ثم نام القيلولة، فلما اردنا إيقاظه للغداء، فإذا روحه قد فاضت إلى الله تعالى.

ويتابع الأبُ قائلاً: ولقد كان ابني من الذين يجاهرون بالمعصية. . لكنه قبل أسبوعين تغيَّرت حاله وأصبح هو الذي يوقظنا لصلاة الفجر بعد أن كان يرفض القيام للصلاة. . بل كان يجاهرنا بالمعصية في عقر دارنا، ثم مّن الله عليه بالهداية منذ وقتٍ غير بعيدٍ.

ثم قال الرجل: متى عرفت ولدي يا بني؟

قلتُ: منذ أسبوعين.

فقال: أنت إذاً الذي نصحته؟

قلت: نعم.

قال: دعني أقبِّلُ رأساً أنقذ ابني من النار.

نهايةُ صديقي

يقول أحد الشباب: نحن مجموعةٌ من الشباب ندرسُ في إحدى الجامعات وكان من بيننا صديقٌ عزيزٌ يقال له محمد.

كان محمد يحيي لنا السهرات، ويجيد العزف على الناي حتى تطرب عظامنا.

وكان المتفق عليه عندنا أن سهرةً بدون محمد سهرةٌ ميتةٌ لا أنس فيها. ومضت الأيامُ على هذا الحال.. وفي يوم من الأيام جاء محمد إلى الجامعة وقد تغيَّرت ملامحهُ وظهر عليه آثار السكينة والخشوع.. فجئت إليه أحدِّثهُ وقلت له: يا محمد ماذا بك؟ كأنَّ الوجه غير الوجه الذي أعرفه ويعرفه أصدقاؤك.

فردَّ عليَّ محمد بلهجةٍ عزيزةٍ وقال:

يا صديقي: لقد طلَّقت الضياع والخراب وإنِّي تائبٌ إلى الله تعالى.

فقلت له: على العموم عندنا الليلة سهرة لا تفوَّت وسيكون عندنا ضيفٌ تحبه إنه المطرب الفلانيُّ.

فرد محمد عليَّ وقال: أرجو أن تعذرني يا صديقي لقد قررت أن أقاطع هذه الجلسات الضائعة.. هل فهمتني.. فجنَّ جنون صديقه الشاب وبدأ يرعد ويزبد..

فقال له محمد: اسمع يا فلان، كم بقي من عمرك؟ ها أنت تعيش في قوَّةٍ بدنيةٍ وعقليةٍ، وتعيش حيوية الشباب فإلى متى ستبقى مذنباً غارقاً في المعاصي؟ لما لا تغتنم هذا العمر في أعمال الخير والطاعات؟ وواصل صديقي محمد الوعظ وتناثرت باقةٌ من النصائح الجميلة من قلبه الصادق.. وألحَّ عليَّ يدعوني إلى التوبة النصوح قائلاً لي: يا فلان إلى متى تسوِّفُ؟ لا صلاة لربِّك ولا عبادة.. أما تدري أنك قد تموت اليوم أو غداً.. كم من مغترٍّ بشبابه وملك الموت عند بابه.. كم من مغترٍّ في أمره منتظراً فراغ شهره وقد آن انصرام عمره.. كم من غارقٍ في لهوه وأنسه وما شعر أنه قد دنا غروب شمسه..

يقول الشابُّ: وتفرقنا على ذلك وكان من الغد دخول شهر رمضان.. وفي اليوم الثاني تحديداً من أيام رمضان ذهبت إلى الجامعة لحضور محاضرات السبت فوجدت الشباب قد تغيَّرت وجوههم وقد بدا عليهم الحزن الشديد.

قلت: ما بالكم؟

فقال أحدهم: محمد بالأمس خرج من صلاة الجمعة فصدمته سيارةٌ مسرعةٌ.. لا إله إلا الله توفاه الله تعالى وهو صائمٌ.. الله أكبر ما - فما من خاتمةٍ.

وتابع قائلاً: لقد صلينا على محمد في عصر ذلك اليوم وأهلنا عليه التُّراب.. وكان منظراً مؤثِّراً.

رحيل نورا

تقول إحدى الفتيات: بدت أختي شاحبة الوجه نحيلة الجسم.. لكنها كعادتها تقرأ القرآن الكريم.. إذا بحثت عنها وجدتها في مصلاها راكعةً ساجدةً رافعةً يديها إلى السماء.. هكذا في الصباح وفي المساء وفي جوف الليل لا تفتر ولا تمل..

أما أنا فلقد كنتُ أحرص على قراءة المجلاَّت الفنية والكتب ذات الطابع القصصي.. وأشاهد الفيديو بكثرة لدرجة أني عرفت به.. ومن أكثر من شيء عرفتُ به.. أنَّني لا أؤدِّي واجباتي كاملةً، ولست منضبطةً في صلواتي..

وفي ليلةٍ من الليالي وبعد أن أغلقت جهاز الفيديو وقد شاهدت أفلاماً منوَّعةً لمدة ثلاث ساعات متواصلةٍ.. ها هو ذا الأذان يرتفع من المسجد المجاور..

فعدت إلى فراشي.. فنادتني أختي نورا من مصلاها.. قلت لها: نعم ماذا تريدين يا نورا؟

قالت لي بنبرةٍ حادةٍ: لا تنامي قبل أن تُصلِّي الفجر..

فقلت: أوَّه.. بقي ساعةٌ على صلاة الفجر.

فأجابتني بنبرتها الحنونة - وهكذا كانت هي حتى قبل أن يصيبها المرض الخبيث وتسقط طريحة الفراش -: تعالي يا هناء إلى جانبي..

وأنا لا أستطيع إطلاقاً ردَّ طلبها.. فأنت تشعر بصفائها وصدقها.. فقلت لها: نعم ماذا تريدين؟

فقالت لي: اجلسي..

فقلت: ها قد جلست ماذا تريدين؟

فقالت مردِّدةً بصوتٍ عذبٍ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. ثم سكتت برهةً.. ثم سألتني: ألم تُؤمني بالموت؟

فقلتُ: بلى إنني مؤمنةٌ به..

قالت: ألم تؤمني بأنَّك ستحاسبين على كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ؟

فقلتُ: بلى.. لكنَّ الله غفورٌ رحيمٌ.. والعمر طويلٌ.

قالت: يا أُختي ألا تخافين من الموت وبغتته؟ انظري فلانة هي أصغر منك وتوفّيت في حادث سيارة.. وفلانة.. وفلانة.. وفلانة.. الموت يا أختي لا يعرف العمر وليس مقياساً له..

أجبتها بصوتٍ خائفٍ حيث مصلاها المظلم: إنني أخافُ من الظلام وأخفتني من الموت.. كيف أنام الآن؟ كنت أظن أنك وافقتي على السفر معنا هذه الإجازة.

فجأة.. تحشرج صوتها واهتز قلبي لذلك..

فقالت: لعلِّي هذه السنة أسافر سفراً بعيداً.. إلى مكانٍ آخر.. ربُّما

يا هناء فالأعمار بيد الله تعالى.. وانفجرت بالبكاء..

فتَّفكرتُ في مرضها الخبيث وأن الأطباء أخبروا أبي سّراً أن المرض ربما لن يمهلها طويلاً.. ولكن من أخبرها بذلك.. أم أنها تتوقع هذا الشيء؟

قلت لها: نورا.. ما لك؟ بما تفكرين؟

فجاءني صوتها القويُّ هذه المرة: هل تعتقدين أني أقول هذا لأنَّني مريضة؟ كلا.. رُبَّما أكون أطول عمراً من الأصحاء.. وأنت إلى متى ستعيشين؟ ربما عشرين سنةً.. ربما أربعين.. ثم ماذا؟

لمعت يدها في الظلام وهزتها بقوة.. قائلةً: لا فرق بيننا، كلُّنا سنرحل وسنغادر هذه الدنيا، إما إلى الجنة أو إلى النار.. تصبحين على خيرٍ يا هناء..

هرولت مسرعةً وصوتها يطرُقُ أذني «هداك الله».. لا تنسي الصلاة..

وفي الثامنة صباحاً أسمع طرقاً على الباب.. هذا ليس موعد استيقاظي.. بكاءٌ.. وأصواتٌ.. ماذا جرى؟

لقد تردت حالةُ أختي نورا.. وذهب بها أبي إلى المستشفى.. إنَّا لله وإنا إليه راجعون.. لا سفر هذه السنة، مكتوبٌ عليَّ البقاء هذه السنة في بيتنا..

وبعد انتظار طويل.. بعد الواحدة ظهراً هاتفنا أبي من المستشفى قائلاً.. تستطيعون زيارتها الان.. هيا بسرعةٍ.. أخبرتني أمي أن حديث أبي غير مطمئن وأنَّ صوته متغيِّر.. ركبنا في السيارة.. أمي بجواري

تدعو لها. . إنها بحق بنتٌ صالحةٌ ومطيعةٌ. . لم أرها تضيع وقتاً أبداً. . دخلنا من الباب الخارجي للمستشفى وصعدنا درجات السّلم بسرعةٍ. .

قالت الممرضة: إنها في غرفة العناية المركزة وسآخذكم إليها، إنها بنتٌ طيبةٌ وطمأنت أمي أنَّها في تحسُّن بعد الغيبوبة التي حصلت لها. . وقالت لنا: ممنوعٌ الدخول لأكثر من شخصٍ واحدٍ. هذه غرفة العناية المركزة. .

وفي وسط زحام الأطباء وعبر النافذة الصغيرة التي في باب الغرفة رأت عيني أختي نورا تنظر إلي، وأمي واقفةٌ بجوارها، بعد دقيقتين خرجت أمي التي لم تستطع إخفاء دمعتها.

سمحوا لي بالدخول والسلام عليها بشرط أن لا أتحدث معها كثيراً. .

فقلت لها: كيف حالك يا نورا؟ لقد كنت بخيرٍ البارحة. . ماذا جرى لك؟

أجابتني بعد أن ضغطت على يدي قائلةً: وأنا الآن والحمد لله بخير. . فجلست بجانبها على حافة السرير فلامست يدي ساقها. . فإذا به تبعده عني. . قلت لها: أنا آسفة إذا ضايقتك. . قالت: كلا ولكنِّي تفكرت في قول الله تعالى: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ [القيامة: ٢٩-٣٠]. أوصيك يا هناء بالدُّعاء لي فربَّما استقبل عما قريب أول أيام الآخرة. . سفري بعيدٌ وزادي قليلٌ. . سقطت دمعةٌ من عيني بعد أن سمعت ما قالت وبكيتُ. . لم أنتبه أين أنا. . استمرت عيناي في البكاء. . أصبح أبي خائفاً عليَّ أكثر من نورا. . لم نتعود مثل هذا البكاء من قبل. .

ومع غروب الشمس ذلك اليوم الحزين.. ساد صمتٌ طويلٌ في بيتنا.. دخلت علينا ابنة خالتي.. وابنةُ عمتي.. كثر القادمون.. واختلطت الأصواتُ.. شيءٌ واحدٌ عرفته.. نورا ماتت.

لم أعد أميِّز من جاء.. ولا أعرف ماذا قالوا.. يا الله.. أين أنا؟ وماذا يجري؟ عجزت حتى عن البكاء.. تذكرت من قاسمتني رحم أمي، فنحن توأمان.. تذكرت من شاركتني همومي.. تذكرت من نفّست عنِّي كربتي.. من دعت لي بالهداية.. من ذرفت دموعها ليالي طويلة وهي تحدِّثني عن الموت والحساب.

الله المستعان.. هذه أول ليلةٍ لها في قبرها.. اللهمَّ ارحمها ونوِّر لها قبرها.. هذا هو مصلاها.. وهذا هو مصحفها.. وهذه هي سجادتها.. وهذا.. وهذا.. بل هذا هو فستانها الذي قالت لي سأخبّئه لزواجي.. تذكرتها وبكيت على أيامي الضائعة.. بكيتُ بكاءً متواصلاً ودعوت الله أن يتوب عليَّ ويعفو عني.. دعوت الله أن يثبِّتها في قبرها كما كانت تحب دائماً أن تدعو هي رحمها الله تعالى.

دموع الفراق

تقول الزَّوجةُ الصابرةُ: أقبلت ابنتي الصغيرة بدور يسبقها صوتٌ كتغريد الطيور.. وما إن التفتُّ إليها فإذا بها تجري نحوي بسرعةٍ رافعةً يديها..

ضممتها بقوةٍ.. وتحسستُ أطراف أصابعها تخترق جسمي.. أغمضت عيني.. حمدت الله. نعمٌ كثيرةٌ..

طفلةٌ وسيمةٌ المحيا.. تغمرها سعادةٌ وارفة الظلال.. حين ضممتها إلى صدري. تذكرت تلك الأيام الخالية.. عندما كنت في المرحلة الثانوية.. عندها تقدم عادلٌ لخطبتي.. وبحكم القرابة وافق الأهل. مع أنَّه كانت قلوب الكثيرات من الفتيات تتمناه.. لأنه جمع بين حسن الخُلُق والدِّين..

وبعد انتظارٍ طويل تم عقد الزواج بعد أن نلت شهادتي الجامعية.. بدأنا نفكِّر معاً في المستقبل.. ونحن في بداية الطريق.. والآمالُ كبيرةٌ.. والطموحاتٌ كثيرةٌ.. تم التعاقُدُ معه للعمل في إحدى الشركات..

سافر وحده.. وبقي في غربته.. وأنا وحيدةٌ في غربتي.. وبعد عام ونصف من بعد المسافات ومن الشوق والحنين.. قدمت إليه وكلِّي

خوفٌ من الغربة الجديدة.. وخوفٌ من الوحدة.. كيف سأعيش بعيدةً عن أهلي وأقاربي..

ولكن تذكرت أن هنا زوجاً ينتظرني.. ذا خلقٍ ودين ما حلمت به في منامي ولا في يقظتي لصفاتٍ وجدتها فيه.. حسن المعاشرة.. لين الجانب.. بشاشةُ الوجه.. صفاء النفس.. صدقُ الحديث.. منحني من الحنان أوفره، ومن العطف أكثره، جمعت بيننا الغربة.. ونمت في قلوبنا المودةُ.. أشياؤه البسيطة.. أحببتها..

أحياناً يطلب كأساً من الماء أو الشاي.. يتبعهُ الثناء والشُّكر.. عجبتُ من أدبه وحسن تعامله..

قلت له مرَّةً: لا تشكرني على خدمتك.. هذا واجبي نحوك.. ولكنه كان يغمرني بطيب أخلاقه..

حمدت الله وشكرته.. أنَّ زوجي مسح عنِّي دموع الغربة، وعوضني فقد من أحب من أهلي..

كان لي نعم الزوج والأب والأهل.. ومرت الأيام.. وأنا اليوم في الشهور الأخيرة من حملي..

لم يرهقني بطلبٍ.. ولم يأمرني بما لا أستطيع..

بل كان يقدِّم لي سؤالاً قبل طلبه.. هل أنت مرهقة..؟ هل أنت متعبة؟

كان يشاركني فرحه.. وحلمه.. ويقول إن رزقنا الله طفلاً.. سنسمِّيه بلالاً..

تمرُّ الأيام الأخيرةُ للحمل.. وأضع طفلةً كالبدر.. أسميناها

«بدور».. سالته يوماً وهو يداعبها.. هل أنت حزينٌ لأنها أتت بدور ولم يأت بلال..؟

فقال لي: إنَّ هذا رزق الله ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩]. ومن رزقنا بدوراً.. يرزقنا بلالاً.. إن شاء الله.

الحمد لله.. ظل السعادة يزيد.. وشجرةُ المحبة تكبر وتنمو.. ومن نعم الله علينا.. قدومنا إلى هذه البلاد.. حيث دروس العلماء.. والمحاضرات والندوات.. وحتى مجتمع المدرسة مجتمع تناصح وخير.. أهدتني زميلةٌ لي في المدرسة.. شريط.. «أيتها المرأة الحجاب - والنار» لأحد العلماء..

وبمجرَّد سماعي لهذا الشريط. هداني الله لغطاء وجهي.. كان زوجي يفرح بسماع أذان الفجر.. يهبُّ من فراشه مسرعاً.. يوقظني.. ويخرج للصلاة.. وكانت وصيتُه لي وأنا ذاهبةٌ للمدرسة (لأنَّني أعمل آنسة في إحدى المدارس الشرعية). أنت مربية الأجيال.. عليك بالإخلاص..

واحذري الغيبة والنميمة.. إن كان في حديثك خيرٌ فتحدثي، لا خير في حديثٍ تندمين عليه يوم القيامة..

وكنا غالباً في ذهابنا وعودتنا.. نستمع إلى شريطٍ لأحد العلماء..

وهكذا مرت الأيام حلوةً جميلةً.. كهبَّات نسيم معطرةٍ..

وفي يوم.. مثل بقية الأيام.. ذهبتُ للمدرسة.. وعندما خرجت بعد صلاة الظهر من المدرسة.. رأيته على غير عادته.. لاحظت تعبه وإرهاقه.. قلت: ماذا بك..؟

قال: إنني مرهقٌ وأحسُّ بدوار في رأسي.. وعندما وصلنا إلى المنزل.. جهزت له طعام الغداء..

لم يستطع أن يتحرك من سريره.. أطعمته بيدي.. كررت عليه السؤال.. ما بك؟! فقال.. مرهقٌ وأريد أن أستريح.

تركته نائماً حتى موعد صلاة العصر.. أيقظته.. لكن لم يستطع أن يستيقظ، اتصلت بالجيران.. ثم ذهبت معهم إلى المستشفى..

وهناك.. كانت بداية النهاية.. أتى الطبيب بخطواتٍ سريعةٍ.. وقال لي: حالة زوجك حرجة جداً وهناك اشتباهٌ في وجود التهابٍ على قشرة المخ..

ثم فصل الأمر.. هناك نوعان.. نوعٌ بسيطٌ ونوعٌ خطيرٌ..

تقبَّلت الخبر بثباتٍ.. وما كنت أظنُّ أني كذلك..

وفي الساعة الواحدة والنصف ليلاً وأنا أُصلِّي وأدعو الله أن يشفيه.. ظلَّ في غيبوبةٍ ثلاثة أيام متواصلةٍ من ظهر يوم الأربعاء.. ومروراً بيومي الخميس والجمعة..

وفي صباح يوم السبت.. تحسنت حالته وأفاق من غيبوبته وبدأ يعرف الزائرين شكلاً.. وعندما اقتربت منه. قلت له: هل عرفتني يا عادل؟

قال: لا.. قلت له: أتعرف بدور؟

قال: هي ابنتي.. أردفت بسرعةٍ: فقلت: أنا أمُّ بدور..

تبسَّم ضاحكاً وقال: أنت زوجتي!.. بكيت بكاءً مُرّاً..

قبل ثلاثة أيام.. كيف كان حاله.. ذاكرتُهُ.. عقلُهُ.. سؤالُهُ

عنِّي.. واليوم تبدَّلت الأحوال.. لا يعرف حتى أحبّ الناس إليه.. لا يعرف زوجته ولا ابنته!.

طال بي التفكير.. ولم أنس ذكر الله.. ومن المسجد المجاور تنبهت على صوت الإمام يقرأُ في الصلاة.. وكأنَّه يخاطبني.. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

وأنا أتابع الآيات تتابعت دموعي.. وعلمت أنني من أصحاب هذه الآيـة.. ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

فقلت في نفسي: نحن هنا في غربةٍ.. وبفقد الزوج.. في مصيبةٍ.. من يذهب بي إليه في المستشفى.. من يأتي معي.. إنها غربةٌ بل هي أشد أنواع الغربة.. خاصة إذا كانت إمرأة ضعيفة مثلي.. وحيدة في بيتها.. لا أخ ولا أب.. ولا زوج..

وفي يوم الأحد كتمت حزني.. ذهبت مع أحد أصدقائه وزوجته..

وحين وصلنا كانت سعادتي لا توصف.. وفرحي لا نهاية له..

عرفني اليوم زوجي.. وعرف كل من ذهب إليه.. لكنه لا يستطيع تذكر الأسماء.. أما أنا زوجته وأم أبنائه.. عرفني منذ أن رآني.. وناداني با سمي.. وابتسم في وجهي..

كأنِّي لم أذُق طعم السعادة إلا اليوم.. وكأنِّي لم أسمع اسمي على لسانه إلا هذه المرة..

طلب منِّي أن يتوضأ للصلاة ويصلِّي ما فاته من الصلوات في الأيام

الماضية.. هاجسهُ الأذانُ.. وحديثهُ الصلاةُ.. ومر هذا اليوم بسرعةٍ رهيبةٍ..

وفي اليوم التالي كان يوم الإثنين.. نقلوه إلى غرفةٍ بمفرده لأن الفيروس انتشر في جسمه وزادت حرارته.. كان هذا اليوم.. يوماً مشهوداً في حياته..

كل يوم أزوره من الساعة الثالثة حتى الساعة الخامسة.. ومن الساعة السابعة وحتى التاسعة.. وأراد الله في هذا اليوم أن أبقى معه من الثالثة وحتى التاسعة..

وأنا أضع له الكمادات الباردة على وجهه ويديه ورجليه.. ولكن حرارته في ازديادٍ.. بدأت أقرأ القرآن بصوتٍ يسمعه..

وعندما توقفت برهةً عن القراءة لكي أضع الكمادات على قدميه.. قال لي: افتحي جهاز التسجيل على القرآن..

فرحت وقلت له: تريد أن تسمع القرآن يا عادل..

قال: طبعاً.. أكملتُ له التلاوة إلى أن أتى موعد الزيارة الثانية وحضر بعض زملائه وأصدقائه.. ومنهم صديقٌ له ملتزمٌ يحبُّهُ ويودُّه..

تبسم زوجي عندما شاهده.. ومد يده نحوه ليسلم عليه..

ولكن كانت فرحتي أكبر فمددت يدي بسرعةٍ.. وصافحت زوجي.. وكان آخر سلام ومصافحةٍ له..

بعدها ذهبت إلى منزلي.. مهمومة النفس.. أغالب أحزاني.. كل شيءٍ أصبح بجانبي حزينا.. وأسأل الله الثبات..

وفي صباح اليوم التالي.. بحثت عمن يذهب بي إلى المستشفى.. وتطوَّع أحد الجيران مع زوجته..

شعرت أن زوجي ربما قد حدث له شيءٌ من أثر الحرارة المستمرة.

ونحن بجوار المستشفى قال لي جارنا: انتظري سأذهب وأسأل عن حالته ثم أعود مسرعاً.. رفعت طرفي إلى مكان غرفته.. أقلِّب الطرف.. فكان يعود كسيراً..

طالت غيبة جارنا.. أو حسبت أن الأمر كان كذلك..

لم أستطع الصبر.. وعندما هممت بدخول المستشفى.. فإذا به قادمٌ مطأطئ الرأس.. وقال لي بصوت خافتٍ: رحمه الله تعالى.. اصبري واحتسبي.. مع تباشير هذا الصباح.. والمؤذِّنُ يرفع صوته بالأذان.. الله أكبرُ.. الله أكبرُ.. فتح زوجك عاد عينيه وجلس نصف جلسةٍ على سريره.. ونظر بعينيه إلى السماء.. ثم رجع إلى الخلف وأغمض عينيه.. وصعدت روحه إلى بارئها.. والمؤذِّن لم يفرغ بعد، مات على صوتٍ طالما كان يحبُّ سماعه.

نعم.. كلُّ إنسانٍ مهما طالت حياته له نهايةٌ.. وقد حانت نهايته.. في هذا اليوم.. أصبح من أهل الدنيا وأمسى من أهل الآخرة.

فقلت لجارنا والدموعُ تنسكبُ فياضةً غزيرةً: هل ذهبوا به من هنا..؟

قال: لا.. قلت: أرجوك أريدُ أن أراه.. وأصررتُ على ذلك..

ذهبلنا نحن الثلاثة.. وأنا أردِّد: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦].

أسابقُ اللحظات.. واستحثُّ الخطى.. دخلت إلى غرفته.. فإذا به ممدداً على السرير.. ومغطى برداءٍ.. تقدمتُ نحوهُ.. كشفتُ الغطاء عنه..

فإذا بوجهه تعلوه السكينة والبشر.. لم أشعر إلا وأنا أقبِّله على جبينه.. إلى جنة الخلد.. إلى الحور العين..

فسارعوا إلى إخراجي، ولساني يردد: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦].

اللهمَّ أجرني في مصيبتي واخلفني خيراً منها..

الصدمةُ قويَّةٌ.. والفجيعةُ كبيرةٌ.. ولكني أحتسبُ مصيبتي عند الله تعالى..

دفناه هنا حيث الأرض التي أحبَّ..

بعدها جاءت المعزيات يواسينني.. فالجميع هنا وكل من عرفه بدأ يعدِّدُ محاسنه.. ومحافظته على الصلاة..

حمدتُ الله تعالى على هذه الخاتمة الطيبة.. ثم تفكَّرتُ في حال الدنيا.. إن أعطت أخذت.. وإن أفرحت أبكت.. وإن أسرت أحزنت.. ساعاتٌ قليلة.. بين فرحي وحزني.. بين ابتسامتي ودمعتي.. اليوم انقلبت إليَّ غربتي.. وعادت إليَّ وحدتي.. فقدت عادل.. ولكن بقي ربُّ عادل.. لن يضيّعني أنا.. وبدور.. وهو أرحم الراحمين.

قصة ياسمين

قال شاب: كان ذلك في يوم من أيام صيف ١٩٩٦م، حيثُ كنت على موعد مع صديقٍ لشرب القهوة العربية بعد صلاة العصر.

وصلت إلى الفندق وتحديداً إلى قاعة المقهى المكيَّف الجميل ذي الديكورات الخلاَّبة وذلك قبل الموعد بساعةٍ.. دخلت المقهى ولم أكن أعرف أين أجلس أو أنظر، إلا أنَّ جمال المكان شدَّني للتِّجوال في أنحاءه لرؤية كل زاويةٍ فيه، وبالفعل تنقلتُ بين روعة الفنِّ والديكور والأعمال الخشبية والزُّجاجية الجميلة حتى وصلت إلى زاويةٍ في آخر المقهى حيث وضع أثاثٌ جميلٌ وهادىء الألوان.. وإضاءة خفيفة جداً، ولا يرى الإنسان هناك إلا صفحة الوجه.. شدَّني ذلك الديكور الرائع.. وتقدَّمت قليلاً وبهدوء شديد إلى الجالس على تلك الأريكة، فقط لكي أهنئه على حسن اختياره لتلك الزاوية.. ولكنني رأيت رجلاً في الخمسينيات نحيف الوجه.. قد خط فيه الزمن خطوطه.. وعيناه غائرتان ومليئتان بدمعتين من الحجم الكبير جداً.. وكان يجاهد لكي يمنعها من التدحرج على خديه.

تقدمت إليه فرأيته غارقاً في فكر بعيدٍ جداً.. يخترق بنظرته الخمسينية ما وراء الفندق والكرة الأرضية كلها.. فقلت له: السلام

عليكم ورحمة الله.. وسكت. قلت له: هل يمكنني الجلوس على الأريكة المقابلة أم أنَّها محجوزةٌ؟

فقال كالمنزعج لانقطاع حبل أفكاره: لا.. نعم.. تفضَّل.. تفضَّل..

فعرفت من طريقة كلامه بأنه من أهل الشام وبالتحديد من لبنان..

جلست وأنا ساكتٌ.. ولكن كيف للثرثار بأن يجلس دون تعذيب لسانه..!

قلت له: عفواً.. ولكن لماذا تعذِّب عينيك وتمنع دمعتيك من التدحرج على خدِّك.. لو كنت مكانك لأرحت عيني من تحمل حرارة الدمع الحزينة وأرسلتها على خدَّي.. فما إن سمع كلامي حتى تدحرجت الدموع على خديه وسلكت التقاطيع الكثيرة في وجهه ولكنه لم يمسحها بمنديل..

قلت له: لا بد وأنك تذكرت أناساً أعزاء عليك!!

قال: وما يدريك؟! قلت: أرى معزَّتهم في عينيك ومحياك..

قال: نعم.. أعزاء جداً جداً.. قلت: ومتى ستلتقيهم؟

قال: والله أتمنى في كل لحظة أن أسافر إليهم ولكن المسافة بعيدة جداً جداً..

قلت: وأين سكنهم؟ فقال: كان آخر لقائي بها في أمريكا قبل ثلاث سنوات ولكننا افترقنا فلم نكن نلتقي إلا في المنام أو الأحلام.

قلت: أيُّها العاشقُ أخبرني بقصة عشقك إن لم يكن في ذلك تدخلٌ شخصيٌّ في حياتك.. قال وبابتسامة صغيرة: لا أبداً، ليس هناك بيني

وبين ياسمين أية أسرار، بل وستكون سعيدة حسب ظنِّي بها لو أنني قصصت عليك قصة حبِّنا الكبير.

ولكن دعني أصحح لك معلومةً صغيرةً، وهي أنَّ ياسمين هي ابنتي التي كانت تبلغ من العمر عشر سنواتٍ..

ففوجئت بالمعلومة.. ثم استطرد قائلاً: هل تحب أن تسمع قصة حبِّنا الكبير؟! قلت متحمِّساً: نعم، وبكلِّ شوقٍ..

قال: عشت في «الدمّام» عشر سنين ورزقت فيها بابنةٍ واحدةٍ أسميتها ياسمين، وكان قد ولد لي من قبلها ابنٌ واحدٌ وأسميته أحمد وكان يكبرها بثمان سنين وكنت أعمل هنا في مهنةٍ هندسيةٍ. فأنا مهندسٌ وحائزٌ على درجة الدكتوراه..

كانت ياسمين آيةً من الجمال لها وجهٌ نوراني وملائكي زاهرٌ.. ومع بلوغها التِّسع سنوات رأيتها من تلقاء نفسها تلبس الحجاب وتصلِّي وتواظب على قراءة القرآن بصورةٍ ملفتةٍ للنظر.. فكانت ما إن تنتهي من أداء واجباتها المدرسية حتى تقوم على الفور وتفترش سجادة صلاتها الصغيرة وتأخذ بقرآنها وهي ترتله ترتيلاً طفولياً ساحراً..

كنت أقول لها: قومي يا ابنتي والعبي مع صديقاتك.. فكانت تقول لي: صديقي هو قرآني وصديقي هو ربِّي.. فقلت لها: نعم الصديق.. ثم أتركها لتواصل قراة القرآن..

وذات يوم اشتكت من ألم في بطنها عند النوم.. فأخذتها إلى المستوصف القريب فأعطاها بعض المسكنات فهدأت آلامها ليومين..

ثم عاودتها.. وهكذا تكررت الحالة.. ولم أعط الأمر حينها أي جدِّية..

وشاءت الأقدار أن تفتح الشركة التي أعمل بها فرعاً في الولايات المتحدة الأمريكية.. وعرضوا عليَّ منصب المدير العام هناك فوافقت.. ولم ينقض شهرٌ واحدٌ حتى كنَّا في أحضان أمريكا مع زوجتي وأحمد وياسمين.. ولا أستطيع وصف سعادتنا بتلك الفرصة الذهبية والسفر للعيش في أمريكا هذا البلد العملاق الذي يحلم بالسفر إليه كل إنسانٍ..

بعد مضي قرابة الشهرين على وصولنا إلى أمريكا عاودت الآلام ياسمين فأخذتها إلى دكتور باطني متخصص.. فقام بفحصها وقال: ستظهر النتائج بعد أسبوع ولا داعي للقلق.. أدخل كلام الطبيب الاطمئنان إلى قلبي.. وسرعان ما حجزت لنا مقاعد على أقرب رحلةٍ إلى مدينة الآلعاب (أورلاند) وقضينا وقتاً ممتعاً مع ياسمين.. بين الألعاب والتنزُّه هنا وهناك.. وبينما نحن في متعة المرح.. رن صوت هاتفي النقال.. فوقع قلبي.. لا أحد في أمريكا يعرف رقمي.. عجباً أكيد الرقم خطأً.. فترددت في الإجابة.. وأخيراً ضغطت على زر الإجابة..

ألو.. من المتحدِّث؟؟ أهلاً يا حضرة المهندس.. معذرةً على الإزعاج فأنا الدكتور «ستيفن» طبيب ياسمين.. هل يمكنني اللقاء بك في عيادتي غداً؟

فقلت له: وهل هناك ما يقلقُ في النتائج؟!

فقال لي: في الواقع نعم.. لذا أودُّ رؤية ياسمين.. وطرح عدداً من الأسئلة قبل التشخيص النهائي..

فقلت له: حسناً سنكون عصر غدٍ عند الخامسة في عيادتك.. إلى اللقاء..

عندها اختلطت المخاوف والأفكار في رأسي.. ولم أدر كيف أتصرف، فقد بقي في برنامج الرِّحلة يومان وياسمين في قمة السعادة لأنها المرةُ الأولى التي تخرج فيها للتنزه منذ وصولنا إلى أمريكا..

وأخيراً أخبرتهم بأنَّ الشركة تريد حضوري غداً إلى العمل لطارىء ما، وهي فرصةٌ جيدةٌ لمتابعة تحاليل ياسمين.. فوافقوا جميعاً على العودة بشرط أن نرجع إلى «أورلاند» في العطلة الصيفية.. فوافقت..

وفي العيادة استهل الدكتور «ستيفن» حديثه لياسمين بقوله: مرحباً ياسمين كيف حالك؟ فقالت: جيدة ولله الحمد، ولكني أحس بآلام وضعفٍ، لا أدري مم؟

وبدأ الدكتور يطرح الأسئلة الكثيرة عليها.. وأخيراً طأطأ رأسه وقال لي:

تفضل في الغرفة الأخرى..

وفي الحجرة أنزل الدكتور على رأسي صاعقةً.. تمنيت عندها لو أن الأرض انشقت وبلعتني.. قال الدكتور: منذ متى وياسمين تعاني من المرض؟

قلت: منذ سنة تقريباً، وكنَّا نستعمل المهدئات وتتعافى..

فقال الطبيب: ولكن مرضها لا يتعافى بالمهدئات.. إنها مصابةٌ بسرطان الدم وفي مراحله الأخيرة جداً.. ولم يبق لها من العمر إلا ستة أشهر.. وقبل مجيئكم تم عرض التحاليل على أعضاء لجنة مرضى

السرطان في المنطقة، وقد أقرّوا جميعاً بذلك من واقع التحاليل..

فلم أتمالك نفسي وانخرطت في البكاء وقلت: مسكينةٌ.. والله مسكينةٌ ياسمين.. هذه الوردة الجميلة.. كيف ستموت وترحل عن الدنيا.. وسمعت زوجتي صوت بكائي فدخلت، ولما علمت أغمي عليها.. وهنا دخلت ياسمين وابني أحمد وعندما علم أحمد بالخبر احتضن أخته وقال: مستحيلٌ أن تموت ياسمين.. فقالت ياسمين ببرائتها المعهودة: أموتُ.. يعني ماذا أموت؟

فتلعثم الجميع من هذا السؤال.. فقال الطبيب: يعني سترحلين إلى الله..

فقالت ياسمين ببراءةٍ: حقاً سأرحل إلى الله؟ وهل هو سيءٌ الرحيل إلى الله، ألم تعلّماني يا والدي بأنَّ الله أفضل من الوالدين والناس وكلِّ الدنيا..

وهل إذا رحلت إلى الله يجعلك تبكي يا أبي ويجعل أمي يغمى عليها..

فوقع كلامها البريءُ الشفاف كمثل صاعقةٍ أخرى على قلبي وسمعي..

فياسمين ترى في الموت رحلةً شيِّقة فيها لقاء مع الحبيب.. مع الله تعالى.. والتي كانت تقول عنه ببراءة الطفولة هو صديقي.. هو حبيبي.. فهي دوماً كانت تسأل متى سأرى الله؟ وكنا نقول لها: بأن الله لا يُرى.

فقالت: آمنت بالله، ولكن هل سأرى رسول الله محمد ﷺ

وجبرائيل وميكائيل والملائكة.. فكنَّا نقول لها: إن شاء الله سترينهم جميعاً ولكن عليك الآن أن تبدأي العلاج.. فقالت: إذا كان لا بد لي من الموت فلماذا العلاج والدواء..

فقلت لها: نعم يا ياسمين.. نحن الأصحاء أيضاً سنموت، فهل يعني ذلك بأن نمتنع عن الأكل والعلاج والسفر والنوم وبناء المستقل.. فلو فعلنا ذلك لتهدمت الحياة ولم يبق على وجه الأرض كائنٌ حيٌّ..

فقاطعني الطبيب قائلاً: تعلمين يا ياسمين بأنَّ في جسد كلِّ إنسان أجهزة وآلات كثيرة هي كلُّها أمانات من الله أعطانا إياها لنعتني بها.. فأنت مثلاً إذا أعطتك صديقتك لعبةً.. هل ستقومين بتكسيرها أم ستعتنين بها؟

فقالت ياسمين: بل سأعتني بها وأحافظ عليها..

الطبيب: وكذلك هو الحال لجهازك الهضمي والعصبي والقلب والمعدة والعينين والأذنين، كلها أجهزةٌ ينبغي عليك الاهتمام بها وصيانتها من التلف.. والأدوية والمواد الكيميائية التي سنقوم بإعطائك إياها إنما لها هدفان.. الأول تخفيف آلام المرض.. والثاني المحافظة قدر الإمكان على أجهزتك الداخلية من التلف حتى عندما تلتقين بربِّك وخالقك تقولين له: لقد حافظت على الأمانات التي جعلتني مسؤولة عنها.. هل أنا ذا أعيدها لك إلا ما تلف من غير قصدٍ مني.

فقالت ياسمين: إذا كان الأمر كذلك.. فأنا مستعدةٌ لأخذ العلاج حتى لا أقف أمام الله كوقوفي أمام صديقتي إذا كسرت لعبها وحاجياتها.

ومضت الستة أشهر ثقيلةً وحزينةً بالنسبة لنا جميعاً كأسرةٍ ستفقد ابنتها المدللة والمحبوبة.. وعكس ذلك كان بالنسبة لابنتي ياسمين فكان كل يوم يمرُّ يزيدها إشراقاً وجمالاً وقرباً من الله تعالى.. وقامت خلال هذه الفترة بحفظ سورٍ من القرآن.. وسألناها: لماذا تحفظين القرآن؟ قالت: علمت بأن الله يحب القرآن.. فأردت أن أقول له: يا رب حفظت بعض سور القرآن لأنك تحبُّ من يحفظه.. وكانت كثيرة الصلاة والوقوف بين يدي الله تعالى.

وأحياناً كثير تُصلي على سريرها.. فسألتها عن ذلك فقالت: سمعت أنَّ رسول الله ﷺ يقول: «وجعلت قرَّة عيني في الصلاة» فأحببت أن تكون لي الصلاة قرَّة عينٍ.

وآخر ما فعلته أنها حفظت سورة «يس».. وكانت ترددها كي لا تنساها.. وما أجملها حين تسمعها تتغنى بها بصوت براءة الأطفال..

وحان يوم رحيلها.. وأشرق بالأنوار وجهها.. وامتلئت شفتاها بابتسامة واسعةٍ.. وأخذت تقرأ سورة «يس» التي حفظتها.. وكانت تجد مشقة في قراءتها إلى أن ختمت السورة، ثم قرأت سورة «الرحمن» وسورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] ثم آية «الكرسي».. ثم قالت: الحمد لله العظيم الذي علمني القرآن وحفظنيه وقوى جسمي للصلاة وساعدني وأنار حياتي بوالدين مسلمين أحبهما كثيراً، يا رب أشكرك لأنك لم تجعلني كافرةً أو عاصيةً أو تاركةً للصلاة..

ثم قالت: تنح يا والدي قليلاً، فإن سقف الحجرة قد انشق وأرى

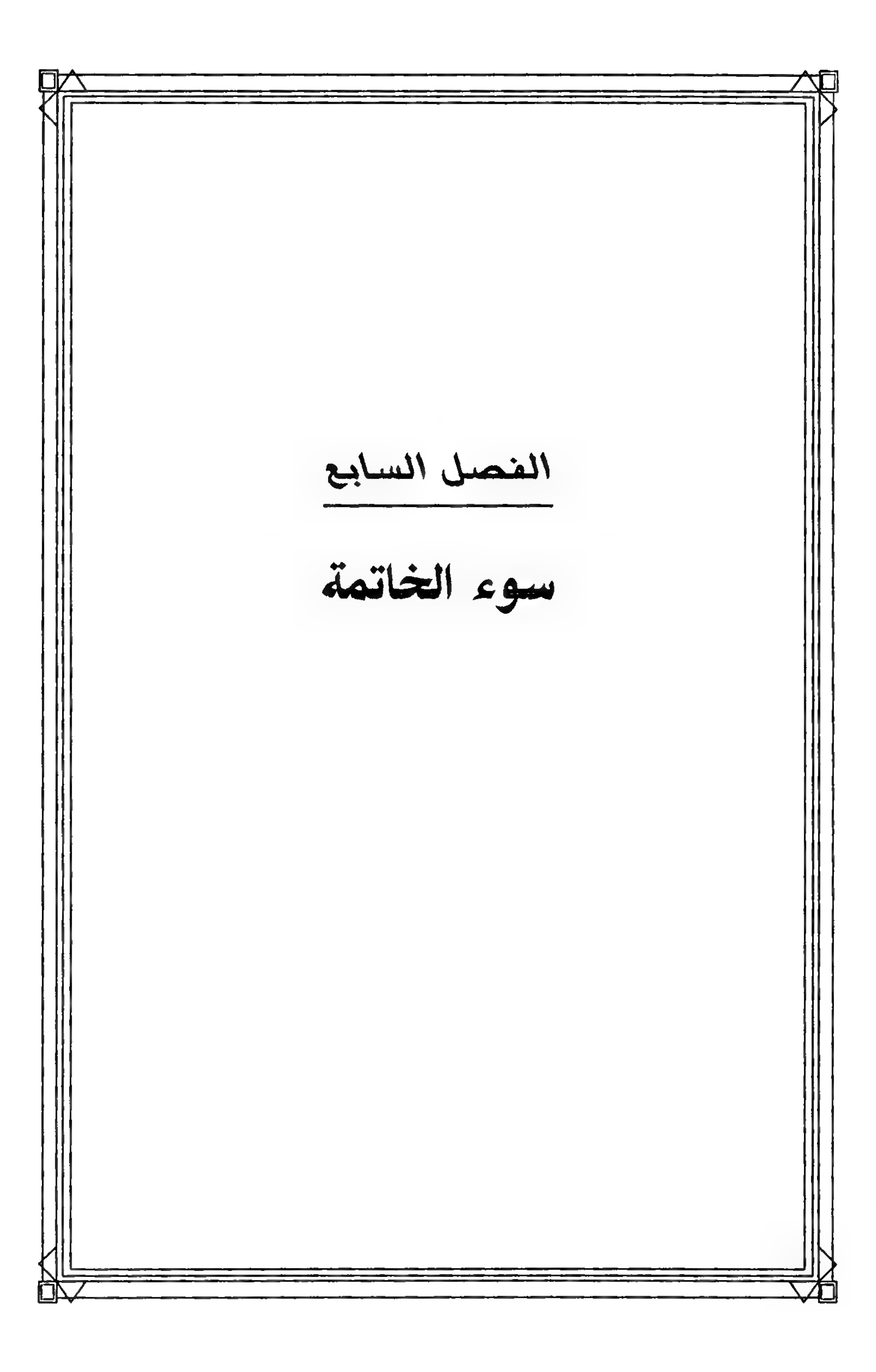
أناساً مبتسمين لابسين البياض وهم قادمون نحوي ويدعونني لمشاركتهم في التحليق معهم إلى الله تعالى..

وما لبثت أن أغمضت عيناها وهي مبتسمة، ورحلت إلى الله تعالى..

ثم أجهش الأب بالبكاء، وبكى بكاءً مريراً جعل كل من في قاعة المقهى في الفندق يلتفتون إلى الزاوية التي نحن فيها..

فقلت له: هوِّن عليك فهي في رحمة الله وكنفه ورعايته، فليرحمها الله ويلهم قلوبكم الصبر على فراقها..

فقال: رحمة الله عليها، لقد كانت ابنةً بارةً مؤمنةً قانتةً، لم تترك صلاتها ولا قرآنها حتى آخر لحظات عمرها..



الفصل السابع

سوء الخاتمة

معيار النجاة حسن العاقبة

إنَّ العبرة في نجاة الإنسان من النار هي ما يختم عليه حياته، فإنه قد يعيش طوال عمره في رحاب الإيمان إلا أن خاتمته هي الكفر - والعياذ بالله - .

فقد روي عن رسول الله ﷺ: «لا يزال المؤمن خائفاً من سوء العاقبة لا يتيقن الوصول إلى رضوان الله، حتى يكون وقت نزع روحه، وظهور ملك الموت له»[1].

وعن الإمام علي عليه السلام: «إنَّ حقيقة السعادة أن يختتم للمرء عمله بالسعادة، وإنَّ حقيقة الشقاء أن يختتم للمرء عمله بالشقاء»[2].

من هنا نلاحظ أن الأحاديث التي ذكرت النجاة بحب آل محمد عليهم السلام قد قيّدت ذلك بالموت على حبهم لا بالحياة فحسب.

فعن رسول الله ﷺ أنّه قال: «من مات على حب آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن

---

(١) المعاد: ج١، ص ١٨٢.
(٢) المصدر نفسه ص ١٨١.

مات على حب آل محمد مات تائباً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان»[(١)].

الخوف من سوء الخاتمة

ونظراً لخطورة هذا الأمر فقد كان الأولياء يخافون من ذلك ويدعون ربهم للثبات وعدم العديلة.

نقل الشيخ محسن قرائني، حفظه الله: كنت أدعو الله تعالى، عند ضريح الإمام الرضا عليه السلام، فورد على ذهني فكرة فقمت لتنفيذها حالاً، حيث وزعت نظرة حولي، فإذا ببعض الأفاضل في حال العبادة، فقمت إلى الأول وقلت له: إذا أخبرك أحد بأنَّ الله يستجيب منك طلباً واحداً، فماذا تطلب؟ قال العالم: أطلب حسن العاقبة.. ثم قمت إلى عالم آخر، وطرحت عليه السؤال، فأجابني بالجواب نفسه الذي قاله الأول، ثم قمت إلى عالم ثالث وطرحت عليه السؤال، فأجاب بما أجاب به العالمان قبله من دون أن يعلم بما أجاب به صاحباه»[(٢)].

وكان المرحوم السيد مهدي الشيرازي يتلو في سجود الركعة الأخيرة من صلاته: «اللهمَّ اجعل عواقب أمورنا خيراً».

فقيل له: إنك في السبعين من عمرك، وممن تُعرف بالإيمان والتقوى، لست بحاجة إلى هذا الدعاء؛ لأنَّ عاقبتك ستكون حسنة،

---

(١) سفينة البحار، مادة «حب».

(٢) قصص وخواطر: لعبد العظيم البحراني، ص ٥٢٥.

فقال رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ : «إنني أخشى أن أكون ممن نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً»[١].

معنى سوء الخاتمة

هي أن تكون وفاة الإنسان وهو بعيد عن ربه ومقيم على سخطه وغضبه، ويعّبر عن ذلك بـ«العديلة عند الموت».

وتحصل بعدول الفرد عن عقيدته إلى عقيدة أخرى فاسدة، فيكفر بالله تعالى، وبرسوله ﷺ، وبالأئمة عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، بعدما كان مؤمناً بهم حال الحياة.

أو أن يغلب عليه الشك والجحود، أو أن يغلب على قلبه شهوة من شهوات الدنيا، فيعترض مستنكراً على القدر الإلهي الذي قضي بموته وفراق أحبابه وأمواله.

وكم سمعنا عن أناس ماتوا وهم يرددون عبارات الكفر والاعتراض على الله في قضائه وقدره، أعاذنا الله من ذلك، ونسأله أن يرزقنا حسن العاقبة إنه أرحم الراحمين.

وهذه العديلة هي سلب «الإيمان المستودع» فإن الإيمان على نحوين: مستقر ومستودع كما ذكرنا سابقاً.

وفي دعاء الإمام زين العابدين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «اللهم إني أسألك أيماناً لا أجل له دون لقائك، أحيني على ما أحييتني عليه، وتوفني إذا توفيتني عليه، وابعثني إذا بعثتني عليه».

---

(١) المصدر نفسه: ص ٧٠٩.

وإذا كانت خاتمة الإنسان سيئة فإن الشياطين ستحضره وتُملى عليه فيطيعها وعندها ستنزل ملائكة العذاب إليه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: «إذا أراد الله قبض روح الكافر قال: يا ملك الموت، انطلق أنت وأعوانك إلى عدوي فلان، فإني قد ابتليته فأحسنت البلاء، ودعوته إلى دار السلام، فأبى إلا أن يشتمني، وكفر بي وبنعمتي، وشتمني على عرشي، فاقبض روحه، حتى تكبّه في جهنم. قال: فيأتيه ملك الموت بوجه كالح، لونه كقطع الليل المظلم، عيناه كالبرق الخاطف، وصوته كالرعد العاصف، ونفسه كلهب النار، رأسه في السماء، وقدماه في الهواء، رجل في المشرق ورجل في المغرب معه سفود كثير الشعب. ومعه خمسمائة ملك أعواناً معهم سياط لينها لين الأديم وهي من لهب جهنم، ومعهم مسح أسود من جمر جهنم.

ثم يدخل عليه ملك من خزان جهنم يقال له: سحفطائيل فيسقيه شربة من حميم لا يزال منها عطشاناً حتى يدخل النار.

فإذا نظر إلى ملك الموت، شخص بصره وطار عقله، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠] فيقول ملك الموت ﴿كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨]، فيقول: يا ملك الموت، فإلى من أدعُ أموالي، ومن يكفل

أيتامي وعيالي، وما كنت فيه من الدنيا؟ دعها في الدنيا لغيرك واخرج إلى النار.

قال: فيضربه بالسفود ضربةً فلا تبقى منه شعبة إلا أثبتها في عرق منه ومفصل، ثم يجذبه جذبة فكأنه سفود وقع على صوف مبتل. ثم يأمر أعوانه فيكبون عليه ضرباً بالسياط، ثم ينزع عنه حتى يذوق سكرات الموت وغمراته، وكأنما ضرب بألف سيف، فلو كان له قوة الإنس والجن لاشتكى كل عرق منه على حياله ثم يطوق فلا يأتي ذلك الطوق على شيء إلا انتزعه.

فإذا بلغت روحه الحلقوم ضربت الملائكة وجهه ودبره، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٠]، وتقول لهم: ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وقيل لهم: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣]، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٢٢]، أي: حجرت عليكم الجنة، وحرم عليكم أن تصلوا إليها. قال عليه السلام: وتخرج روحه يسلها من قدميه نشطان فيضعها بين مطرقة وسندان، فيفضح أطراف أنامله، وآخر ما يشدخ منه العينان، فتسطع له ريح منتنة يتأذى منه أهل السماء تقول: لعنة الله عليها من روح كافرة منتنة، خرج من الدنيا، فيلعنه الله، ويلعنه اللاعنون. فإذا طارت نحو السماء، أغلقت أبواب السماء عنها كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٠] (١).

---

(١) البرهان: ج١، ص ٣٣٠.

علامات سوء الخاتمة

ذكر العلماء أن لسوء الخاتمة علامات أبرزها:

١ - عدم النطق بالشهادة.

٢ - صدور كلمات الكفر والاعتراض والسب والعياذ بالله.

٣ - الحسرة والندامة.

فعن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أشد الناس ندماً عند الموت العلماء غير العاملين»[1].

عن المفضل، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إنَّ الحسرة والندامة والويل كلّه لمن لم ينتفع بما أبصر ومن لم يدر الأمر الذي هو عليه مقيم أنفع هو له أم ضرر.

قال، قلت: فبما يعرف الناجي؟

قال: من كان فعله لقوله موافقاً فأثبت له الشهادة بالنجاة، ومن لم يكن فعله لقوله موافقاً فإنما ذلك مستودع»[2].

أسباب سوء الخاتمة

للعديلة عند الموت أسباب عديدة أبرزها:

١ - ما يكون عليه الإنسان حال حياته، فإن «من أحب شيئاً عاش عليه، ومات عليه، وبُعث عليه» فمن كان يحب الدنيا فإنه يعيش لأجلها

---

(١) فقه الزهراء: ج٢، ص ٤٥١.
(٢) بحار الأنوار: ج٦٦، ص ٢١٨، باب ٣٤، ح٢.

ويفنى عمره في طلبها ليلاً ونهاراً ثم تكون خاتمته أن يتحسر عند وفاته عليها، وأما من كان يحب الآخرة وأهلها فإنه يعيش لأجلها ويموت لأجلها.

مثال ذلك الإنسان الذي يشرب الخمر ليلاً ونهاراً، فمن الطبيعي أن تكون نهايته وهو يحمل كأس الخمر والعياذ بالله.

وأما من كان من روّاد المساجد وقرّاء القرآن، فمن الطبيعي أن تكون نهايته وهو حال السجود أو الدعاء أو الذكر.

عن الإمام علي عليه السلام: «إياك أن ينزل بك الموت وأنت آبق عن ربك في طلب الدنيا»[١].

قال السيد الخميني - رحمة الله عليه -: «إذا ابتلى الإنسان بحب الدنيا واتباع الهوى، وتمكنت الدنيا من قلبه فإنه يتحلل من كل ما عدا الأمور الدنيوية ويعادي الله - والعياذ بالله منه - ويعادي عباد الله والأنبياء والأولياء والملائكة، ويحس تجاههم بالحقد والبغضاء، وحينما يأتي أجله وتأتي ملائكة الله لتتوفاه يشعر بالاستياء الشديد، وينفر منهم، ذلك أنهم يريدون أن يفصلوه عما تعلق به، عن الأشياء التي ألفها وأحبها، إنهم يريدون أن يفصلوه عن الدنيا وهي كل شيء في نظره. . . ولذلك يبغضهم وينفر منهم، وقد تكون عاقبته أن يخرج من هذه الدنيا وهو عدو الله سبحانه.

حدَّث أحد الأكابر من قزريف أنه كان يجلس عند رأس شخص في حال احتضاره فسمعه يقول: إن الظلم الذي ظلمني إياه الله لم يظلمني

---

(١) فقه الزهراء: ج٢، ص ٤٥١.

مثله أحد.. لأني قد بذلت مهجتي في تربية أولادي، وها هو يريد أن يبعدني عنهم، فهل هناك ظلم أشد من هذا وأعظم؟

إن ما يخشى منه هو هذه العاقبة السيئة، لأن الإنسان إذا لم يهّذب نفسه، وإذا لم يعرض عن الدنيا، ويخرجها من قلبه.. فيخشى أن يترك الدنيا وقلبه مملوء بالحقد على الله وعلى أوليائه.

نعم إن هذه العاقبة السيئة تنتظر الإنسان، وإنه رغم كونه أشرف المخلوقات، مهدد بهذا المصير المشؤوم، فهل إنسان منحط من هذا النوع هو أشرف المخلوقات أم هو أشرها؟! ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١-٣]. إن المستثنى في هذه السورة هم المؤمنون الذين عملوا الصالحات، والعمل الصالح هو العمل الذي يقوم به الإنسان ويكون منسجماً مع الروح، ولكنا نرى أن كثيراً من أعمال الإنسان تنسجم مع الجسم دون أن يوجد من التواصي المذكور في السورة المباركة عين أو أثر.

إذ بنيتم أموركم على أساس أن حب الدنيا وحب النفس هو المسيطر عليكم والغالب على أمركم، وهو الحائل بينكم وبين أن تكون أعمالكم خالصة لوجه الله أيضاً، قائمة على أساس التواصي بالحق والتواصي بالصبر وأنتم حينئذ قد أقمتم سّداً في طريق اهتدائكم، وبؤتم بالخسران المبين، وأنتم حينئذ مصداق قوله تعالى: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ [الحج: ١١].

لأنكم تكونون قد أضعتم شبابكم، ثم حرمتم أنفسكم من نعيم

الآخرة ونعمها فتكونون قد أضعتم دنياكم وآخرتكم.. إن الآخرين الذين لا طريق لهم إلى الجنة، والذين سُدّت في وجوههم أبواب رحمة الله، واستحقوا الخلود في النار..، هم على الأقل يحصلون على الدنيا ويتمتعون بلذائذها.. أما أنتم..

احذروا أن يزداد حب الدنيا وحب النفس والغرور في أنفسكم بالتدريج - لا سمح الله - فيصل الأمر بكم إلى أن يسرق الشيطان إيمانكم.

ثمة رأي بأن جميع جهود الشيطان هي لأجل هذا. إن جميع جهوده ومحاولاته، وجميع السبل التي يتبعها من أجل اختطاف إيمان الإنسان، أنكم لم تأخذوا مستنداً من أحد بثبات إيمانكم، ولعله إيمان مستودع. سيتاح للشيطان أن يذهب به.. فتخرجون من الدنيا بعداوة الله وأوليائه، بعد أن قضيتم عمركم والنعم الآلهية تغمركم وأنتم على مائدة الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه، لعلكم بعد هذا كله ستكونون أعداء وليّ نعمتكم - لا سمح الله - .

اسعوا وحاولوا بكل جهدكم إذا كانت لكم علاقة بالدنيا وارتباط بها، ومحبة لها، فاسعوا، وحاولوا بكل جهدكم أن تقطعوا هذه العلائق... إن هذه الدنيا بجميع زخارفها وبهارجها أحقر من أن يحترمها إنسان ويحبها. هذا إذا كان متمتعاً بها، فكيف إذا كان محروماً منها؟!»[١].

٢ - فساد الاعتقاد، فإن من حمل عقيدة فاسدة طوال الحياة فإن

---

(١) الجهاد الأكبر ص ٦٩.

أثرها السيء سيظهر عند الموت بالكفر والالحاد، فيأتي الشيطان ليوسوس.

روى العياشي عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ الشيطان ليأتي الرجل من أوليائنا عند موته. يأتيه عن يمينه وعن يساره، ليصده عمَّا هو عليه، فيأبى الله له ذلك، قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] في الحياة، يعني عند معاينته ملك الموت وحضور الشياطين لإضلاله، وفي الآخرة، يعني في القبر عند سؤال منكر ونكير»[1].

وعنه عليه السلام: «ما من أحد يحضره الموت إلا وكّلَ إبليس من شياطينه من يأمره بالكفر، ويشككه في دينه، حتى تخرج نفسه على الكفر. فمن كان مؤمناً لم يقدر عليه. فإذا حضرتم موتاكم فلقنوهم شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله حتى يموتوا»[2].

قال في اللآلىء: «أشد ما يكون فيه الميت، حال النزع والاحتضار، لأنَّه يصاب بعطش شديد تصطلي به أحشاؤه، فيجد الشيطان، ذلك الوقت، فرصة لمحاولة تضليله، وغوايته من طريق عرض الماء عليه، فيأتيه بقدح ماء عذب بارد عند رأسه، فيقول له: اسقني، ولا يعلم أنه الشيطان، فيقول: لا أسقيك حتى تقول ما ينفعك قل: لا صانع لهذا العالم، فإن لم يجبه أتاه من يمينه وشماله، فحرك القدح فيقول المحتضر: اسقني، يظنه قريباً له، فيقول: كيف أسقيك وأنت

---

(١) النمارق الفاخرة: ج٢، ص ٤٢.

(٢) المصدر نفسه.

على ضلال باتباع محمد الكذاب؟ فإن قلت: محمد كذاب، ولا صانع لنا إلا الأرض، سقيتك. فمَنْ كُتب له الشقاء أجابه وخرج من الدنيا كافراً، ومن كان كامل الإيمان لم يضره من الشيطان شيئاً».

قصة وعبرة

في كتاب القصص العجيبة للسيد دستغيب قال:

روى السيد منجهر موريسي، سلمه الله تعالى، قصة طويلة خلاصتها أنه عندما كان يشتغل بالتعليم في ضواحي «لارستان»، في قرية تعرف باسم «أسير»، مرض شاب من سكان تلك القرية يدعى أحمد، مرضاً شديداً، وشارف على الموت، فأتاه السيد منوجهر، وهو على تلك الحال، وأخذ يلقنه الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله). وبعد تلقين كثير ينطق الشاب بالشهادة وينطق أيضاً بالشهادة التالية: (محمد ﷺ رسول الله)، ولكنه كان يمتنع عن النطق بشهادة أن علياً عليه السلام ولي الله.

وبعد الإلحاح عليه يشير الشاب برأسه أنَّه لن ينطق بها، ثم يقول بلسانه بعد ذلك:

لن أقولها.

ويذهب بعدها في حالة إغماء، وغيبوبة شديدين، فيتفرق الجميع من حوله، ويبقى على هذه الحال عدة أيام، إلى أن حملوه إلى (شيراز)، لعيادته وقلت له: إسأله.

في ذلك اليوم حين كنت ألقنك الشهادات الثلاث، لماذا امتنعت عن النطق بشهادة (علي ولي الله)؟

ولما سمع أحمد سؤالي هذا، عرضت له حالة من الخوف والوحشة، وعض على شفتيه، وقال:

في تلك الأثناء، عندما كنت تلقنني الشهادة، رأيتها (أي الشهادة) تبدو على صورة سلسلة ذات ثلاث حلقات ضخام كُتب على الحلقة الأولى منها «لا إله إلا الله» وعلى الحلقة الثانية: «محمد رسول الله»، وعلى الحلقة الثالثة «علي ولي الله».

وكانت الحلقة الأولى من السلسلة بيدي، بينما الحلقة الثانية في الوسط، والحلقة الثالثة كانت بيد عفريت ذي هيكل مخيف، وفي يده الأخرى كيس، كنت أشعر أن مالي ونقودي كلها في داخله.

فلما لقنتني الشهادتين «لا إله إلا الله» و«محمد رسول الله» نطقت بهما، ولما أردت النطق بشهادة «أنَّ علياً عليه السلام ولي الله»، أخذ العفريت يجذب السلسلة من يدي ويقول:

إنَّ نطقت بها فإني سآخذ أموالك كلها، ودفتر (البنك) خاصتك، وهي جميعها في هذا الكيس.

فامتنعت عن النطق بشهادة «أنَّ علياً عليه السلام ولي الله»، خوفاً من أن يأخذ أموالي، وبقيت متمسكاً، وأنا على تلك الحال بالحلقة التي كتب عليها «لا إله إلا الله»، لا أفلتها من يدي.

وبينما أنا في صراع وضيق شديدين، ظهر فجأة سيد جميل المنظر، ينبعث النور منه، وألقى برجله المباركة فوق تلك السلسلة، فبدا كأن يد ذلك العفريت كانت تحت قدم ذلك الجليل، وهو يضغط عليها، فصرخ صرخة مدوية، وأفلت السلسلة من يده فتحولت كلها إليَّ.

ولم أعِ ما جرى بعد ذلك حت فتحت عينيَّ، ووجدت نفسي غارقاً في عرقي، وأنا ممدَّد على فراش المرض»[1].

فائدة: إنَّ الشيطان يعمل على غواية ابن آدم منذ ولادته وحتى مماته، فعندما يُولد يتسلط عليه، وعند احتضاره يسعى لإضلاله.

٣ - **الإنقلاب على الدين**، وهذا حال من يدخل الدين ظناً منه أنه سيغنى بالمال، فإن أصابته فتنة إرتد وكفر، كما قال تعالى عن بعض الناس: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

٤ - **الإصرار على المعاصي**، فإن المعاصي تسبب إسوداد القلب وموته.

فعن الإمام محمد ﷺ الباقر عليه السلام: «ما من عبد إلا وفي قلبه نكتة بيضاء. فإذا أذنب خرج في النكتة نكتة سوداء حتى يغطي البياض. فإذا تغطى البياض، لم يرجع صاحبه إلى الخير أبداً، وهو قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] [2]».

ويذكر القرآن الكريم أنَّ عاقبة الذين يعملون المعاصي هي تكذيب آيات الله أي: الكفر بالله. قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الروم: ١٠].

---

(١) القصص العجيبة: ص ٢١٦.

(٢) أصول الكافي: ج٢، ص ٢٦٨.

ومن أخطر التي تسبب العديلة:

١ - ترك الحج، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

٢ - الحيف بالوصية، عن رسول الله ﷺ: «أنَّ الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة فيحيف في وصيته فيختم له بعمل أهل النار، وأنَّ الرجل ليعمل بعمل أهل النار سبعين سنة فيعدل في وصيته، فيختم له بعمل أهل الجنة»(١).

٣ - عقوق الوالدين، روي أنَّ رسول الله ﷺ حضر شاباً عند وفاته فقال له: قل لا إله إلا الله، فاعتقل لسانه مراراً، فقال لامرأة عند رأسه: هل لهذا أم؟ قالت: نعم، أنا أمه. قال: افساخطة أنت عليه؟ قالت: نعم، ما كلمته منذ ست حجج، قال لها: إرضي عنه، قالت: رضي الله عنه برضاك يا رسول الله.

فقال له رسول الله ﷺ: «قل لا إله إلا الله، فقالها، فقال النبي ﷺ: ما ترى؟

فقال: أرى رجلاً أسود قبيح المنظر، وسخ الثياب، منتن الريح، قد وليني، فأخذ بكظمي (حنجرتي). فقال له النبي ﷺ قل: «يا من يقبل اليسير، ويعفو عن الكثير، إقبل مني اليسير واعفُ عني الكثير، إنك أنت الغفور الرحيم» فقالها الشاب، فقال له النبي ﷺ انظر ما ترى؟ قال: أرى رجلاً أبيض اللون حسن الوجه، طيب الريح، حسن الثياب، قد وليني، وأرى الأسود قد تولى عني قال: أعد، فأعاد (الدعاء) قال: ما

---

(١) سفينة البحار: مادة «وصي».

ترى؟ قال: لست أرى الأسود، وأرى الأبيض قد وليني ثم طفى (مات) على تلك الحال)[١].

٤ - **شرب الخمر**، قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا يونس، أبلغ عطية عنّي أنه من شرب جرعةً من خمرٍ لعنه الله وملائكته ورسله والمؤمنون، وإن شربها حتى يسكر منها نُزع روح الإيمان من جسده وركبت فيه روحٌ سخيفةٌ خبيثةٌ ملعونة»[٢].

وعن أبي بصير قال: دخلت أم خالد المعبدية على أبي عبد الله الصادق عليه السلام، وأنا عنده، فقلت: جعلت فداك! إنَّه يعتريني قراقر في بطني، وقد وصف لي أطباء العراق النبيذ بالسويق، وقد وقفت وعرفت كراهتك له، فأحببت أن أسألك عن ذلك، فقال لها: وما يمنعك عن شربه، قالت: قد قلدتك ديني فألقى عزّ وجلّ حين ألقاه فأخبره أنَّ جعفر بن محمد عليه السلام أمرني ونهاني... فقال: يا أبا محمد، ألا تسمع إلى هذه المرأة وهذه المسائل.. لا، والله، لا آذن لك في قطرة منه، فإنما تندمين إذا بلغت نفسك ههنا، وأومأ بيده إلى حنجرته يقولها ثلاثاً: أفهمت؟...»[٣].

فقول الإمام عليه السلام لأم معبد: «إنما تندمين إذا بلغت نفسك ههنا» يدل على حصول العديلة بسبب هذه المعصية.

وفي هذا المجال يحكى أنه كان للفضيل بن عياض تلميذ يُعدُّ أعلم تلامذته... وذات يوم مرض التلميذ، واشتد مرضه، ووصل الأمر به

---

(١) منازل الآخرة: ص ٢٤.
(٢) وسائل الشيعة: ج٢٥، ص ٢٩٧، ح٤.
(٣) منازل الآخرة: ص ٣٥.

إلى النزل والاحتضار، وجاء الفضيل فجلس عند رأسه، وأخذ يقرأ سورة (يس) فإذا بذلك التلميذ المحتضر يقول له: لا تقرأ هذه السورة.

واستجاب الأستاذ، وتوقف عن القراءة وقال لتلميذه:

قل: لا إله إلا الله.

قال: لا أقولها لأني أكرهها (والعياذ بالله) ثم مات على هذه الحال.

فعجب الفضيل من ذلك، ومضى إلى منزله، ولم يخرج منه.. وفي الليل رأى تلميذه في المنام، وهو يسحب إلى جهنم...

قال له الفضيل: كنت أعلم تلامذتي، فماذا جرى حتى سلبك الله المعرفة، وختم لك بسوء العاقبة؟ قال: سبب ذلك ثلاثة أمور:

الأول: إني كنت نمَّاماً...

الثاني: إني كنت حسوداً.

الثالث: إني كنت أشرب الخمر، وذلك بسبب مرض كان فيَّ، وقد أوصاني الطبيب بشرب قدح من الخمر في كل عام، وقال: إنَّ لم تشرب ذلك فلا شفاء لعلتك. هذه الأمور الثلاثة كانت السبب في سوء عاقبتي.

٥ - **الزنا**، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «عبد الله عابدٌ ثمانين سنة، ثم أشرف على إمرأة فوقعت في نفسه، فنزل إليها فراودها على نفسها فطاوعته، فلما قضى منها حاجته طرقه ملك الموت فاعتقل لسانه، فمرّ به سائل فأشار إليه أن خُذ رغيفاً كان في كسائه، فأحبط الله عمل ثمانين سنة بتلك الزنية، وغفر الله له بذلك الرغيف»[١].

---

(١) الرسالة السعدية: ص ١٣٤، عوالي اللالى ١: ص ٣٥٣، ح١٩.

٦ - **سوء الخلق**، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إنَّ حسن الخلق يذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل»(١).

٧ - **الإستخفاف بالعبادات**، وخصوصاً الصلاة، فقد ورد أن عن أبي جعفر عليه السلام قال: «بينا رسول الله صلى الله عليه وآله جالسٌ في المسجد إذ دخل رجل فقام يصلي، فلم يتم ركوعه ولا سجوده، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: نقر كنقر الغراب، لئن مات هذا وهكذا صلاته ليموتن على غير ديني»(٢).

وعن النبي صلى الله عليه وآله: «من ترك الصلاة لا يرجو ثوابها ولا يخاف عقابها فلا أبالي أن يموت يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً»(٣).

٨ - **اتباع الهوى**، فعن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: «إن اطعت هواك اصمك وأعماك وأفسد منقلبك وأرداك»(٤).

٩ - **عدم العمل بما يعلم:**

فإن بعض الناس همّه إن أن يقرأ ويتكلم بين الناس ليُقال عنه «مثقف» أو «خطيب بارع» ولا يعمل بعلمه.

عن المفضل بن عمرو قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: بما يُعرف الناجي؟

---

(١) بحار الأنوار: ج٧١، ص ٣٥٦.
(٢) وسائل الشيعة: ج٤، ص ٣١ - ٣٢، ح٢.
(٣) بحار الأنوار: ج٧٦، ص ٣٦٣.
(٤) ميزان الحكمة: ج٢، ص ١٦٤٤.

فقال عليه السلام: «من كان فعله لقوله موافقاً فأنت له بالشهادة، ومن لم يكن فعله لقوله موافقاً فإنما ذلك مستودع»[١]

١٠ - **أذية أهل الإيمان**، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ومن بات وفي قلبه غش لأخيه المسلم بات في سخط الله وأصبح كذلك وهو في سخط الله حتى يتوب ويرجع، وإن مات كذلك مات على غير دين الإسلام»[٢].

فائدة: لأن الإنسان لا يدري متى يفاجأه الموت، فلابد له من الاستعداد وعدم الوقوع في المعصية لئلا يموت عاصياً، فعن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «لا تجلسوا على مائدة يُشرب عليها الخمر، فإن العبد لا يدري متى يُوخذ»[٣].

---

(١) منية المريد ص ١٤٧.
(٢) عواقب الأمور: ص ٧٩.
(٣) ميزان الحكمة مادة «المجلس».

حكاية العابد «برصيصاً»

كان في بني إسرائيل عابد اسمه «برصيصاً» عبد الله ردحاً طويلاً حتى كان يؤتي له بالمجانين يداويهم ويعوذهم فيبرأون على يده.

أوتي له يوماً بامرأة ذات شرف قد جُنّت، وكان لها إخوة أتوه بها، واتفقوا أن يلتزمها حتى تستعيد عافيتها.

لم يزل به الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت، فلما استبان حملها، شعر العابد بهول الورطة التي وقع فيها فقتلها ودفنها في ناحية من الصحراء لعله يتستر على ما جاء به من إثم.

اطلع إخوتها على جريمته النكراء وذاع نبأه بين أهل المدينة حتى بلغ ذلك أميرهم فبادر إلى التحقيق مع جماعة من عصبته. وما أن تيقّنوا من صحة الخبر حتى استنزلوه من معبده وأصدرت الأوامر بصلبه..

وفي اليوم المحدد لتنفيذ الحكم، اجتمع الناس ورُفع العابد على خشبته فلما استقر عليها، تمثل له الشيطان، فقال: أنا الذي ألقيتك في هذا، فهل أنت مطيعي فيما أقول لك، أخلصك مما أنت فيه؟

قال: نعم.

قال: اسجد لي سجدة واحدة.

قال: كيف أسجد لك وأنا على هذه الحالة؟

قال: أكتفي منك بالإيماء.

أومأ له العابد بالسجود فكفر بالله وقُتِل الرجل ولاقى ربه هكذا[١].

(١) مجمع البيان: المجلد ٩، ص ٢٦٥؛ روح البيان، المجلد ٩، ٤٤٦.

سوء عاقبة ماجن متهتك

يروى أن أحد الأغنياء المتهتكين اللاهين عن ذكر الله ممن لا يرتدع عن ممارسة الخلاعة. كان ذات مرة يجلس على عتبة داره فمرت به سيدة تقصد ارتياد حمام يسمى «حمام منجاب» ولكنها ضلت طريقها إليه وسئمت البحث عنه، فالتفتّت عساها تجد من يدلها على الطريق، فأبصرت ذلك الرجل وسألته: أين الطريق إلى حمام منجاب؟

أشار الرجل المتهتك إلى داره، وقال لها بأنها ها هنا.

دخلت السيدة داره وهي تخاله حمام منجاب. فسارع الرجل إلى غلق الباب حالاً واتجه إليه يطلب مضاجعتها.

أدركت المرأة وهي سيدة عفيفة أنها وقعت في شر عسر وابتليت بأحطّ ما جن طائش وليس أمامها من سبيل للخلاص سوى التشبث بحيلة تنجيها منه، فقالت له بأنها على أتم اللهفة إليه لكنها متسخة ولهذا كانت تؤم الحمام بغية الاستحمام. وبهذه الحجة بعثته ليأتي لها بقدر الطيب تتطيب به وبشيء من الغذاء يتناولانه معاً.

انخدع الرجل بكلام المرأة. وما أن ترك الدار طلباً للطيب والطعام حتى استثمرت المرأة العفيفة الفرصة وغادرت الدار ناجية منه.

عاد الرجل الماجن إلى داره فلم يعثر على المرأة فسقط في يده واغتم لذلك وظل يتحسر عليها ويكن في قلبه الآثم طموحه في النيل منها ويردد دوماً في ذكرها:

يا رب سائلة وقد تعبت   أين الطريق إلى حمام منجاب؟

مرت فترة من الزمن فاعتل الرجل بداء ألزمه فراش الموت وتقاطر عليه معارفه يعودونه وأخذ بعضهم يلقنه الشهادتين ويطلب منه أن ينطق بعبارتي:

«لا إله إلا الله، محمد رسول الله».

لكنه بدلاً عن ذلك كان يجيب مردداً ما اعتاد عليه من الشعر فيقول:

يا رب سائلة وقد تعبت   أين الطريق إلى حمام منجاب

ثم زفر أنفاسه الأخيرة وهو على هذه الحال.

عاقبة من يبخس في الميزان

ذكر جناب حجة الإسلام، الشيخ علي رضا علي، قائلاً:

في أحدى السنوات ذهبت بعد ظهر يوم عاشوراء إلى أحد الأصدقاء وبلغني أنه يحتضر فدخلت إلى منزله فوجدت عنده مشايخ من أهل العلم والفضل وهم يحاولون تلقينه لكنه لم يكن يرد عليهم بأي شيء فبقي الجميع بحالة من الحيرة والذهول، لأنه كان في حياته من أهل الإيمان فجلست بالقرب منه وأخذت أتكلم معه بصوتٍ مرتفع وأرّدد كلمات الفرج، فحّول وجهه عني وكأنه لا يريد مني أن أتكلم، وبعد قليل لم أسمع منه سوى بعض الكلمات التي أخذ يرددها وهو يقول: «هذه سوء العاقبة هذه سوء العاقبة» حتى فارق الدنيا، فتعجبت مما حصل له فسألت ابنه الأكبر فقال: يا شيخ إن أبي كان لا يراعي الناس في البيع والشراء وكان يبخس في الميزان، وقد حذّرته من هذا العمل لكنه لم يكن يستمع لنصيحتي[1].

---

(١) السيرة والعرفان: ص ٤٠.

عاقبة حب الدنيا

قال الأستاذ أحمد أمين: «ذكر لي أحدهم: أنه كان عند صديق له عندما حضرته الوفاة، وكان صديقه هذا ممن يصلي ويصوم ويؤدي ما في ماله من حقوق، ويتقي الله في أموره، وكان عنده ساعة موته أصدقاؤه الآخرون. فيُلقن شهادة: أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن علياً ولي الله، فلم ينطق بها وأبى، وأخذ يبصق. ولكن الله تعالى لم يشأ أن يموت الرجل على هذه الحالة، فعادت بإذن الله إليه روحه.

وسئل بعد ذلك عن عدم إقراره بالشهادة، فأجاب: «أني كنت أسمع ما القن به من شهادة. . . ولكني أمسيتُ في تلك الآونة عطشاناً إلى حدٍّ لا يُطاق. فقرَّب الي شخص قدحاً مملوءاً ماءاً، وأخذ يقول لي: لا تقرَّ بالشهادة، كي أرويك من هذا الماء. فصرت أبصق في القدح كي لا أستسيغه. وأشكر الله على إنجائه إياي من ذلك الموقف الحرج».

وهكذا حصل لرجل آخر حينما حضرته الوفاة. فأبى الإقرار بالشهادتين وصار يرمق ببصره إلى رف في غرفته فيه أناء مُرّصع. ثم رُدّت بإذن الله إليه روحه، وسئل عن عدم إقراره بالشهادتين، فقال: «أني كنت شديد العلاقة بالإناء المرصع، ورأيت شخصاً رافعاً الأناء وهو

يقول لي: إياك أن تقر بالشهادتين. فإني سأرمي به على الأرض إن أنت أقررت بهما. ولذلك ترددت في الإقرار رغبة في ذلك الإناء المرصع، وأشكر الله على إنقاذه إياي»[١].

---

(١) التكامل في الإسلام ج ٣ ص ٦٢٣.

قصة الحاج حسن حمزة

قال المرحوم الشيخ محمد تقي الفقيه: «بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية توجه جمع من أهل بلادنا إلى حج بيت الله الحرام عن طريق النجف، واجتمعت بجمعٍ منهم في بيت الشيخ بشير حمود، فسمعتهم يتنادون بأسمائهم ما عدا شخص اسمه الحاج حسن حمزة من بلدة زبدين قضاء النبطية، وكان يتجر في بيروت، فقلت لهم: لماذا تلقبونه بالحاج دون سائركم مع أنكم جميعاً في طريق الحج؟ فقالوا: إنه حج من قبل وهذه هي الحجة الثانية، فاستغربت ذلك وقلت له: أهل بلادنا غير معتادين على تكرير الحج، فقال: إنما كررته لقصة جرت، ولوعد أعطيته، فسألته عن ذلك فقال:

في العام الماضي في موسم الحج جاء مرض وافد مات فيه الكثير، فأصبت به فاستدعيت سماحة الشيخ يوسف الفقيه فأوصى لي ثم انعطف على زوجتي أم محمود وجعل يحثها على الإعتناء بي، وكان المرض معدياً ووعدها بالخير في الدنيا والآخرة، فقلت لها: إذا منَّ الله عليَّ بالعافية صحبتك إلى الحج في السنة القادمة، وقد منَّ الله عليَّ بالعافية وذا أنا أفي بوعدي.

ثم قال لي: ولي في مرضي قصة عجيبة، فإنني عندما كنت في

سكرات المرض والألم سمعت شخصاً ينادي طبيب طبيب، فاستدعيته وإذا به شيخ نجدي له لحية وسمرة تشبه أهل نجد فشكوت له حالي فقال: دواك سهل، فأخرج كأساً وقال: إشرب، فقلت له: كم تريد؟ فقال: الأمر سهل وأعدت عليه فأعاد، فقال: ثمنه كلمة واحدة، تتبرأ من ولاية الإمام علي ابن أبي طالب، فقلت له: ما اسمك؟ فقال: أبو مرة، وكأن اللعين مأمور بأن لا يكذب، فحوّلت وجهي عنه، وقلت له: يا ملعون أئمتي حذروني منك، فاستدار إلى الجانب الثاني، وقال لي: لماذا تبقى في هذا العذاب إشرب فإذا شربت برئت؟ فحولت وجهي عنه وهكذا.

وعيالي جالسة إلى جنبي تسمع كلامي فقط، وتقول: الله يسمي على اسمك، وهذه الكلمة يقولها العامليون لمن يصيبه المس أو يبتلي بالتخيلات الموحشة.

وبينما أنا في هذا الحال، رأيت موكباً مجتازاً أمام منزلنا يقدمه الحسين عليه السلام، فجعلت أناديه بصوتٍ ضعيف فلا يسمع، ثم خفت أن يتجاوز البيت ولا يسمع، فناديته بأعلى صوت تمكنت منه، فقامت زوجتي هاربة مني، وجعلت ترتعد، فالتفت إليَّ وقال: ما تريد؟ فشكوت إليه أمري وهرب الطبيب بمجرد رؤيته فقال: لا بأس عليك، فجلست فوراً وناديت عيالي، فخافت مني ولم تقترب، ظناً منها أنها هذه هي صحة الموت، وملكتها الرعدة والارتباك، ثم أكدت لها أنني في عافية، وأن الحسين طيبني، وهي لا تصدق، ثم تبينت ذلك، وأجابته لما أراد[١].

---

(١) حجر وطين ج ٣ ص ٢٣.

أريدُ صديقتي

قال الدكتور أيمن: كنت أقوم بالمرور اليوميِّ على المرضى في غرفة العناية المركزة في ذلك المستشفى الكندي الذي كنت أتابع فيه الدراسة الطبية العليا، فلفت انتباهي اسم المريض في السرير رقم (٣) إنه محمد، نظرت إليه ملياً أتفحص ملامحه أتفرَّس قسمات وجهه الذي كاد يتوارى تحت انقاض أنابيب أجهزة الإنعاش، إنَّه شابٌّ في الخامسة والعشرين من العمر مصاب بمرض نقص المناعة المكتسبة (الإيدز) أُدخل إلى المستشفى قبل يومين بالتهابٍ حادٍّ في الرئة وحالته خطرةٌ جداً، وشبه ميؤوس منها، لم يكن هذا أول مريض مسلم في بلاد الغرب أعالجه، ولكني أحسست نحوه بشعور خاصٍّ لا أعرف سببه.

وبعد إنتهاء المرور الصباحي اختلست لحظات واقتربت من هذا الشاب حاولت أن أكلّمه برفقٍ، إنه يسمعني ولكنه لا يستطيع أن يجيب إلا بكلماتٍ غير مفهومة، اتصلت ببيته، ردت عليَّ أُمهُ يبدو أنهم من أصول عربيةٍ لبنانية، وأبوه تاجر كبيرٌ في المدينة يمتلك محلات حلويات، شرحت للأمِّ حالة ابنها أثناء حديثي معها بدأت أجراس الإنذار تتعالى بشكلٍ مخيف من الأجهزة الموصلة بذلك الفتى مؤشِّرة على هبوط حادٍّ في الدورة الدموية، ارتبكت في حديثي مع الأم قلت

لها: لا بد وأن تحضري الآن، فقالت: أنا مشغولةٌ في عملي سوف أحضر بعد إنتهاء الدوام، قلت لها: ربما يكون الوقت متأخراً عندها وأغلقت السماعة.

وبعد نصف ساعةٍ طلبت مني الممرضة أن أحضر للقاء والدة المريض... إمرأةٌ في متسوط العمر لا تبدو عليها مظاهر الإسلام، بدت مضطربةً، شرحت لها الوضع الحرج لابنها، إنهارت باكيةً.. حاولت تهدئتها قلت لها: إسألي الله له الشفاء، نظرت إلي بدهشةٍ وقالت: ماذا قلت؟ قلت لها: تعلقي بالله واسألي له الشفاء! قالت: أنت مسلم؟! قلت: نعم الحمد لله، قالت: نحن مسلمون كذلك. قلت: ما شاء الله لماذا لا تذهبين عند رأسه وتقرئين عليه شيئاً من القرآن الكريم لعل الله أن يخفف عنه؟ انتفضت بارتباكٍ، وقد انخرطت في بكاءٍ مريرٍ قالت: لا أعرف.

قلت كيف تصلين؟ قالت: نحن لا نُصلي إلا في العيد منذ أن أتينا إلى هذا البلد. ولكني أذهب لزيارة أضرحة أجدادي في لبنان كل عامين أدعو لهم دون علم زوجي.. فأنا إمرأةٌ متدينةٌ..

قلت في نفسي: «الله المستعان متدينةٌ من دون صلاةٍ ولا تعرف القرآن».

سألتها عن حال ابنها؟ قالت؟ كان طيِّب القلب يحبُّ الحياة ولكنه انحرف قليلاً في السنة الماضية مع تلك الفتاة التي استولت عليه.. وكان حاله على أحسن ما يرام.. قلت: هل كان يصلِّي؟ قالت: لا، ولكنه كان ينوي أن يحج في آخر عمره..

قلت في نفسي: «من يضمن أن يعيش إلى الثلاثين أو حتى إلى الأربعين والخمسين والستين.. كم من صغير مات ولم يبلغ العشرين».

بعدها اقتربت من الفتى المسكين وهو يصارع سكرات الموت، أجهزة المنبّه تتعالى، الأمُّ تبكي بصوتٍ مسموع، الممرضات ينظرن بدهشةٍ، جاهداً حاولت أن ألقّن الفتى الشهادتين والفتى لا يستجيب.. عاودت المحاولة مرات عديدة بدأ الفتى يفيق شيئاً ما.. قلت له: قل لا إله إلا الله.. والفتى يحاول بكل جوارحه والدُّموع تفتر من أطراف عينيه وجدته يتغير لونه إلى السواد.. ثم بدأ يتكلم قائلاً: أُريد مسكناً للألم.. فقلت له: يا فتى قل لا إله إلا الله.. شفتاه ترتجفان يا إلهي سينطقها الآن.. فقال بالإنكليزية: (I ckant I cant) أري صديقتي لا أستطيع.. النبض يتناقص.. وما زال يردِّد ويقول: أريدُ صديقتي لا أستطيع.. والنبض يتناقص والتنفُّسُ يتلاشى..

لم أتمالك نفسي أخذت أبكي بحرقةٍ وأعدت المحاولة: أرجوك أيها الفتى قلها وهو يقول: لا أستطيع..

توقف النبض وأنا متمسكٌ بيد الفتى في ذهولٍ تامٍّ، والأمُّ مرتميةً على صدره تصرخ، ووجه الفتى غطاه سوادٌ كالحٌ، لم أتمالك نفسي نسيت كل الأعراف الطبية وذهلت من حساسية الموقف انفجرت صارخاً في الأم أنت المسؤولة.. أنت وأبوه ضيعتم الأمانة ضيعكم الله.. الأمُّ تبكي في ذهولٍ..

تذكرت قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

أعطوني دُخاناً

شابٌّ في سكرات الموت يقولون له: قل لا إله إلا الله.. فيقول: أعطوني دخاناً.. فيقولون: قل لا إله إلا الله..

فيقول: أعطوني دخاناً.. فيقولون: قل لا إله إلا الله. علّه يختم لك بها.

فيقول: أنا بريءٌ منها أعطوني دخاناً.

أنا في سَقَر

وقع حادثٌ في مدينة الرياض على إحدى الطُّرق السريعة لثلاثةٍ من الشباب كانوا يستقلُّون سيارةً واحدةً توفي اثنان وبقي الثالث في الرمق الأخير فهرع إليه رجل المرور - الذي حضر الحادث - وجعل يقول له: قل لا إله إلا الله..

فأخذ يحكي عن نفسه ويقول: أنا في سقر.. أنا في سقر.. حتى مات على ذلك.. - والعياذ بالله - فجاء رجل المرور يسأل عن ذلك ويقول ما هي سقر؟

ليجد الجواب في كتاب الله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠)﴾ [المدثر: ٢٦-٣٠].

سبَّ الدِّين

هذه قصة شابٍّ يحكى عنه أنه حصل له حادثٌ مروعٌ في طريق مكة إلى جدة. قال الراوي الذي حضر المشهد: فلما رأينا منظر السيارة ومشهدها الخارجي، قلت أنا ومن معي من الإخوة: ننزل، فننظر ما حال هذا الإنسان وكيف أصبح، فلما اقتربنا من الرجل وجدناه في النزع الأخير من حياته، ووجدنا مسجل السيارة مفتوحاً على أغانٍ غربيةٍ باطلةٍ.

يقول الراوي: فأغلقنا المسجل، ثم نظرنا إلى الرجل وما يعانيه من سكرات الموت، فقلنا: هذه فرصةٌ لعل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعل على أيدينا فلاح هذا الرجل في دنياه وآخرته، فأخذنا نقول له: يا هذا، قل: لا إله إلا الله.. أتدري - أخي بماذا تكلم في آخر رمقٍ في حياته؟

ليته ما نطق، لقد قال كلمةً رهيبةً عظيمةً! لقد سب دين الله رب العالمين، نعوذ بالله من الشقاء والخذلان وسوء الخاتمة.

الليلة الحمراءُ

أربعةٌ من الشباب كانوا يعملون في دائرةٍ واحدةٍ، مضت عليهم سنين وهم يجمعون رواتبهم، فإذا سمعوا ببلدٍ مباحٌ فيه الفجور طاروا إليه..

وبينما هم ذات يوم جالسين في عملهم إذ سمعوا ببلادٍ لم يذهبوا إليها، عقدوا العزم بعد أن تشاوروا بينهم، فقرروا أن يجمعوا رواتبهم هذه المرة ليسافروا إلى تلك البلاد التي سمعوا عن فجورها.

وجاء وقت الرحلة وركبوا في الطائرة ومضوا إلى ما يريدون، ومرَّ عليهم أكثر من أسبوع في تلك البلاد وهم بين الزنى والخمور، وأفعال لا ترضي الله تعالى.

وبينما هم في ليلةٍ من الليالي، وفي ساعةٍ متأخِّرة من الليل، يجاهرون الله تعالى بالمعصية والفجور، نعم بينما هم في غمرة اللهو والمجون إذا بأحد هؤلاء الشباب الأربعة يسقط مغشياً عليه، فهرع إليه أصحابه ليروا ما به، ففوجؤوا بأنه ينازع الموت ويصارعه، فتحرك الإيمان في قلب أحد أصدقائه وقال له: يا أخي، قل لا إله إلا الله، فرد الشاب - عياذاً بالله - : إليك عني، زدني كأس خمر، تعالي يا فلانة، ثم فاضت روحه إلى الله تعالى وهو على تلك الحال السيئة، نسأل الله تعالى السلامة والعافية.

ثم كان حال الثلاثة الآخرين لما رأوا صاحبهم وما آل إليه أمرُهُ أنهم أخذوا يبكون، وخرجوا من المرقص تائبين، وجهزوا صاحبهم، وعادوا به إلى بلاده محمولاً في التابوت، ولما وصلوا المطار فتحوا التابوت ليتأكدوا من جثته، فنظروا إلى وجهه فإذا بالسواد والكدرة قد غطت وجهه.

خاتمة محزنة

قالت فتاة: «فتحت عيني على الدنيا فوجدت أبي منغمس بالملذات يلهو ويخرج ويشرب الخمر مع أصحابه ومع هذا لا يبخل علينا بشيء أبداً مهما طلبنا منه ولكن بشرط أن لا ترتدوا الحجاب، وكان دائماً يسخر من الفتاة التي ترتدي الحجاب فيصّر أن نلبس كل ما تجود به الموضة سواء أكانت تتناسب مع شرقيتنا أم لا، وأعطانا الحرية الكاملة (خاصة الخروج والسهر) وكان يعتبر الصداقة بين شاب وفتاة تحضّر، ولهذا كنا نجلس مع أصدقاء إخواننا.

ولكن في الطرف الآخر والدتي لا تعجبها هذه التصرفات نوعاً ما أي تسكت عن بعض وتسمح ببعض، وبحكم أن والدي يحب السفر كثيراً مع أصدقائه (لعمل الفواحش) وكانت والدتي تعلم بهذا الشيء ولكن كانت تقول طالما يمارس الفواحش بعيداً عن البيت فلا بأس؟

وسافر أبي وطال سفره أكثر من شهر... وبعد هذه المدة إتصل صديقه من البلد التي سافروا إليها ليخبرنا بأن والدي سوف يصل إلى البلاد غداً ولكن... ميت!... وبعد سماع الخبر أصبحنا غير مصدقين كيف؟ وهو بكامل صحته ولم يشكِ يوماً من أي شيء؟

فبكينا كثيراً وخاصة أنا حيث كنت الصغيرة المدللة التي لا يرفض

لها طلب.. وما أن وصل جثمان والدي حتى انكببت عليه وأصبحت أبكي بحرقة ومرت أيام العزاء فإتصلت بصديق والدي الحميم الذي سافر معه فقالوا لي أنه في المسجد لا يفارقه إلا نادراً فتعجبت من هذا التصرف المفاجىء الذي طرأ عليه وبعد أن ألححت عليه في القدوم...أتى ووجهه شاحب فقلت له عمي: أريد أن تخبرني كيف مات أبي...فأجهش بالبكاء...فحلفت عليه وقلت له أنا لا أصدق الكلام الذي قلته لوالدتي (حادث سيارة) وبعد إلحاح. سمعت الفاجعة.

يقول لقد كنا سهرانين ونشرب الخمر ومعنا البنات فقلت أنا البنت التي معي أجمل من البنت التي سوف تأتي وتجلس معك...فقال أنت لم ترها بعد...وسوف تدخل الآن...فلما دخلت وكانت بكامل زينتها...وقف أبيك ثم سجد إكراماً لجمالها وبينما هو ساجد...وأنا أنادي عليه لم يرد....ناديته أكثر من مرة لم يرد فحركته فسقط فإذا هو ميت... لقد مات وهو ساجد لها... وبعد سماعي لهذه النهاية وسوء خاتمته بكيت كثيراً...وأياماً...ثم توضأت وصليت. ودعوت له بالمغفرة...وإرتديت الحجاب....ودعيت ربي أن يختم أعمالي بحسن الخاتمة....اللهم آمين.

الفهرس

الفصل الثالث

المؤمن بين الإستقامة والإنحراف

الفصل الرابع

أسباب ضعف الإيمان

الفصل الخامس

كيف نعالج ضعف الإيمان؟

الفصل السادس

حسن الخاتمة

الفصل السابع
سوء الخاتمة

صدر للمؤلف

١ - زيارة الإمام الحسن عليه السلام، في رحاب الإمام المهدي عليه السلام.
٢ - كفاية الزائرين. ٣ - ضياء المؤمنين.
٤ - الروح بين العلم والعقيدة.
٥ - النور المبين في فضل الصلاة على محمد وآله الطاهرين.
٦ - خدمة الناس في سيرة أهل البيت عليهم السلام.
٧ - المنهج العبادي للأنبياء والأوصياء والعرفاء.
٨ - النظام الصحي بين الطب الإسلامي والطب الطبيعي.
٩ - حياة السيد المسيح عليه السلام. ١٠ - كيف تواجه الابتلاء.
١١ - بحوث في الإمامة والولاية.
١٢ - جمال السالكين السيد عبد الأعلى السبزواري رحمه الله.
١٣ - كيف تقرأ القرآن الكريم. ١٤ - وصايا العلماء.
١٥ - غياث الملهوفين في التوسل بمحمّد وآله الطاهرين.
١٦ - الشفاء في الغذاء في طب النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام.
١٧ - الأحلام نافذة على عالم الغيب.
١٨ - يوم القيامة ونسبية الزمن بين العلم والقرآن الكريم.
١٩ - جواهر الأخبار في ما ورد عن النبي وآله الأطهار.
٢٠ - مواعظ وعبر من حياة الأنبياء والأوصياء والأولياء.
٢١ - تكريم الناس. ٢٢ - الفضائل العلوية.

تُطلب الكتب من المؤلف: جنوب لبنان - عديسة

تلفون: ٠٣/٦٤٩١٣٦ - ٠١/٢٧٩٥٨١